أ.د. محمد بن سعود البشر

السعودية السلفية

في الكتابات الغربية

رؤية تصحيحية





مركز الفكر العالمي عن السعودية
Center for Global Thought on Saudi Arabia

السعودية السلفية

في الكتابات الغربية

رؤية تصحيحية

أ.د. محمد بن سعود البشر

فكر
مركز الفكر العالمي عن السعودية
Center for Global Thought on Saudi Arabia

ⓒ **مركز الفكر العالمي عن السعودية، ١٤٣٣هـ**
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
البشر، محمد سعود
السعودية السلفية في الكتابات الغربية: رؤية تصحيحية./ محمد سعود البشر - الرياض، ١٤٣٣هـ
١٥٤ ص، ٨٥, ١٤ × ٢١سم
ردمك: ٦- ٩١٠٩ -٠٠- ٦٠٣ - ٩٧٨
١- الدعوة السلفية ٢- الفكر الغربي أ. العنوان
ديوي: ٢١٧ ١٤٣٣ / ٨٩٩
رقم الإيداع: ٨٩٩ / ١٤٣٣
ردمك: ٦- ٩١٠٩ -٠٠- ٦٠٣ - ٩٧٨



مركز الفكر العالمي عن السعودية
Center for Global Thought on Saudi Arabia

الرياض هاتف: ٢٢٩٥١١٩ فاكس: ٢٢٩٥٠١٩

cgtsa@hotmail.com

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ -٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة ٦

المبحث الأول
ملامح الصورة المشوهة للسلفية السعودية
في الكتابات الغربية ١١

الربط الخطأ بين السلفية والوهابية ١٣

الوهابية.. الدين الرسمي في السعودية ٢١

الوهابية.. العقيدة السامّة ٢٦

الوهابية.. عقيدة التطرف والإرهاب ٣١

وهابية (البترودولار) ٦٦

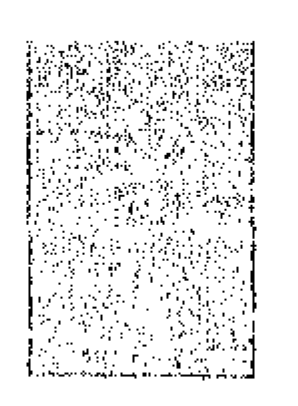
المبحث الثاني
أسباب الصورة المشوهة للسلفية السعودية ٧١
في الكتابات الغربية

أولاً: الافتقار للمعلومة في الكتابات الغربية ٧٣

ثانياً: الجهل بواقع الآخر ٧٨

ثالثاً: التعميم المطلق ٨٠

رابعاً: مجافاة الحقيقة ٨٢



خامساً: المستغربون من المسلمين ٨٨

سادساً: المستغربون السعوديون ٩٠

سابعاً: تشويه صورة الإسلام والسلفية ٩٢

ثامناً: استهداف السعودية ١٠٧

المبحث الثالث
الرد على الافتراءات ١١٧

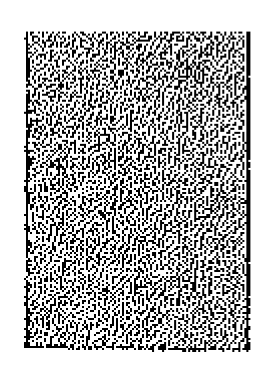
تشويه صورة الإسلام والسلفية ١١٨

السلفية الوهابية هي الدين الرسمي في السعودية ١٢٣

الوهابية هي عقيدة التطرف والإرهاب ١٢٩

وهابية (البترودولار) ١٤٢

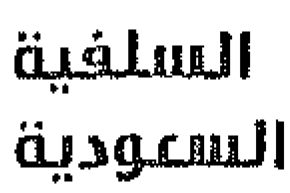
الخاتمة ١٥١



مقدمة

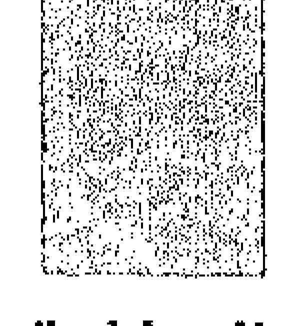
نهج الغرب استراتيجيتين خطيرتين تجاه العالم الإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة بدعوى (الحرب على الإرهاب). وبغض النظر عن تداعيات تلك الأحداث وأسبابها ومن كان يقف وراءها فإن ما يعنينا هو نتائجها. هاتان الاستراتيجيتان اتخذتا أسلوبين في تطبيقهما:

الأول: الحرب العسكرية، التي استهدفت العراق والإطاحة بنظامه وإعادة ترتيبه وفقاً لأطماع ومصالح محددة سلفاً. اختارت الاستراتيجية العسكرية العراق كهدف رئيس لاعتبارات عسكرية وجغرافية وسياسية لقربها من إيران العدو وإسرائيل الصديق والحليف. وليس الموضوع هنا معني بالحديث عن الاستراتيجية العسكرية ومصالح الغرب في العراق على المدى القريب أو البعيد.



الثاني: الحرب الناعمة (السياسية والثقافية والإعلامية)، التي استهدفت المملكة العربية السعودية، ديناً ودولة وشعباً ومؤسسات. فالغرب يدرك مكانة المملكة في العالم الإسلامي، وإنه من الصعوبة بمكان النيل منها عسكرياً لما قد يجره ذلك من انتصار العالم الإسلامي كله لأراضيه المقدسة التي تحتضنها المملكة العربية السعودية، وإن أي مغامرة عسكرية غير محسوبة ولا تأخذ بهذا الاعتبار فإنها قد تبوء بالفشل. لم يكن للغرب بد من أن يستغل الفرصة السانحة ويغير من استراتيجيته العسكرية فيطلق حملته الناعمة ضد المملكة العربية السعودية التي تزامنت مع حربه العسكرية في العراق، في محاولة لتغيير ما يمكن تغييره من دينها وهويتها الثقافية، متخذاً من منابره السياسية والثقافية والإعلامية وسائل لإحداث التغيير المطلوب.

ولأنها (حرب ناعمة)، وشرسة في الوقت نفسه، فقد ركزت على أهم مكامن القوة المعنوية في المملكة العربية السعودية، وهو الإسلام، الذي تأسست عليه الدولة



وتوحد عليه شعبها. تنوعت الكتابات الغربية في حديثها عن الدين الإسلامي وتأثيره في السعودية وخارجها، مستهدفة أسسه النظرية وتطبيقاته في المجتمع السعودي. وقد استأثر موضوع السلفية والوهابية بتركيز بعض الكتاب الغربيين واهتمامهم، في محاولة للتشويش على صفائهما في مخيلة الرأي العام النخبوي والشعبي في الغرب والعالم الإسلامي وفي السعوديين أنفسهم. وقد حاولت تلك الكتابات الغربية ربط هذين المفهومين بالتشدد والتطرف، تحقيقاً لأهداف الحرب الناعمة التي رامت إضعاف القوة المعنوية وتذويب الهوية الدينية والثقافية للمسلمين، وسعياً لإرساء ملامح (الشرق الأوسط الجديد) الذي رسمته وبشرت به حكومات الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص.

هذا الإصدار هو محاولة هادئة للحديث عن مفهوم الوهابية ووصفها وتأثيرها داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، يناقش دعاوى علاقتها بالعنف والتطرف والإرهاب التي نضحت بها كثير من الكتابات الغربية،

ويحاول إزالة الغموض الذي علق ببعض الكتابات التي تناولت مفهومي السلفية والوهابية وعمدت، عن قصد في كثير منها وعن نقص وغموض للمعلومة في أحيان أخرى، إلى ربطها بصفات سيئة، وانتقصت من المملكة العربية السعودية التي رأت تلك الكتابات أنها الداعمة والحاضنة للسلفية الوهابية والمصدرة لهما.

وقبل قراءة فصول الكتاب فإنه من الضروري – للأمانة والموضوعية – تقرير حقيقة أن من الكتاب الغربيين من اجتهد وأخطأ بحسن نية في مفهوم الوهابية ووصفها وتأثيرها في المملكة العربية السعودية وخارجها، مع التزامه بأمانة البحث العلمي، ونزاهة النقل من المصادر المختلفة، فجاءت كتاباتهم منصفة ومتحرية للحقيقة التي يبحث عنها العقلاء، حتى وإن حادت عن الصواب في بعض جوانبها.

* أثناء مثول هذا الكتاب للطباعة اختار الله زميلنا الباحث في المركز الأستاذ هاشم بانقا الريح – رحمه الله – في ٢٠١١/١١/٢٤م، بعد أن أسهم في وضع الملامح الرئيسة لهذا الإصدار. وقد كان للفقيد قدم صدق في إصدارات المركز السابقة، نسأل الله أن يجعلها في موازين حسناته.

المبحث الأول
ملامح الصورة المشوهة للسلفية السعودية في الكتابات الغربية

مقدمة

الربط الخطأ بين السلفية والوهابية

الوهابية.. الدين الرسمي في السعودية

الوهابية.. العقيدة السامّة

الوهابية.. عقيدة التطرف والإرهاب

وهابية (البترودولار)

المقدمة

هناك كم هائل من الكتابات الغربية التي تناولت السلفية كظاهرة، وأفردت لها مساحات في الصحف والمجلات المحكمة والدراسات، بل إن هناك مؤتمرات عُقدت لبحث موضوع السلفية ومناقشته، وقُدّمت أوراق عمل في هذه المؤتمرات تناولت السلفية من وجهات نظر ورؤى غربية.

بالتأكيد يتعذر هنا حصر كل هذا الكم من الكتابات والدراسات واستعراضها، لكثرتها من جهة وللتشابه الكبير الذي يصل إلى درجة التطابق في معظم ما احتوته تلك الكتابات والدراسات من جهة أخرى. لكن الإشارة إلى بعض الأمثلة مما احتوته عن مفهوم السلفية ودلالاتها وربطها بالوهابية قد يفي بالغرض في هذا السياق، ويلقي الضوء على بعض الجوانب من الموضوع.

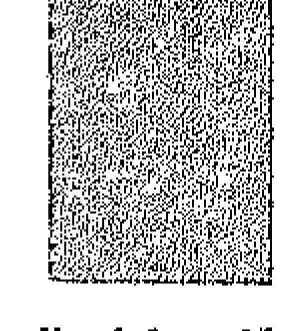
الربط الخطأ بين السلفية والوهابية

أول هذه الشبهات وأكثرها انتشاراً هو الربط الخطأ بين السلفية والوهابية في الكتابات الغربية، وهو أمر ظاهر لا تكاد تخطئه عين القارئ، على الرغم من اعتراف بعض الكتاب بأن هناك غموضاً في تفسير ظاهرة السلفية ودلالاتها وفهمها واختلاف الطوائف والجماعات التي تنضوي تحت مسمياتها.

وأكبر مظاهر الربط الخطأ بين السلفية والوهابية في الكتابات الغربية هو محاولة بعض الكتاب الغربيين الفصل بين السلفية السنية والوهابية باعتبارهما متناقضتين، وأن الوهابية هي دين مختلف عن السلفية السنية السائدة في العالم الإسلامي.

يقول أحد الكتاب:

(الفرق الكبير بين السنة والوهابية هو في المعتقدات والطقوس. ويشكل السنة الأغلبية بنسبة تقريبية تصل إلى ٩٠ ٪ من المسلمين في جميع أنحاء العالم حيث ينتمون إلى المذهب السني، في حين يتركز أعضاء



الحركة الوهابية في المملكة العربية السعودية)[1].

هذا النص يوحي للقارئ الغربي أن الوهابية هي دين مختلف عن السلفية السنية السائدة في العالم الإسلامي، وأنها حركة لا توجد إلا في المملكة العربية السعودية. وهنا خلط واضح من جهتين:

الأولى: إن ظاهر القول يوحي بوجود دين في السعودية غير ما هو موجود عند المسلمين.

والثانية: النظر إلى الوهابية بوصفها (حركة) جاء بها شخص، وليست (دعوة إصلاحية) ممتدة هدفت إلى تجديد الدين في نفوس المسلمين الذين عاصروها إبان ظهورها وانتشارها في الجزيرة العربية. وبالتالي فإن مضمون ما قيل ينطوي على جهل فاضح بحقيقة الوهابية.

ومن مظاهر الخلط بين مفهومي السلفية والوهابية عند الغربيين ما يظنه بعضهم من أن الوهابية تقدس السنة النبوية على حساب القرآن الكريم، الذي هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي. فقد كتب كوينتان ويكتورويكز Quintan

---

(1)globalsecurity.org,Wahhabi".In:http://www.globalsecurity.org/military/world/gulf/wahhabi.htm. Accessed on: 22011/8/.

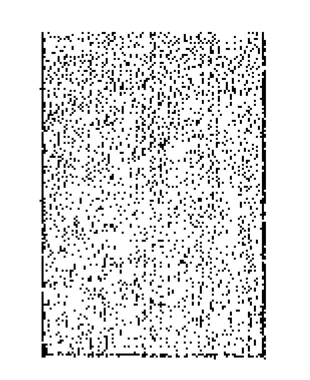
Wiktorowicz في بحثه المسمى (تشريح الحركة السلفية Anatomy of Salafi Movement) عما سماه الغموض في تفسير الدين عند الوهابيين، فقال:

(عند تعاملهم مع المبادئ القرآنية، فإن العلماء ينظرون إلى نموذج النبي محمد الذي أبان كيف أن القيم والأحكام المجردة يجب تطبيقها على مشكلات العالم الحقيقي. ونظراً للغموض الذي يكتنف ترجمة آيات القرآن عملياً، وعلى وجه الخصوص في الأمور المستجدة في العالم المعاصر، فإن الحديث (السنة النبوية) أصبح مهماً للتوجيه والإرشاد، حتى إنه بات أكثر أهمية عند السلفيين من القرآن نفسه. ولهذا السبب يُطلق بعض السلفيين على أنفسهم اسم «أهل الحديث»)[1].

ولا ندري من أين أتى الكاتب بمقولة إن السنة النبوية باتت أكثر أهمية عند السلفيين من القرآن نفسه، على الرغم من أنه أستاذ في قسم الدراسات الدولية في كلية رودس بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو مهتم بالإسلام

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٤.



السياسي وله عدة مصنفات مطبوعة في ذلك[١].

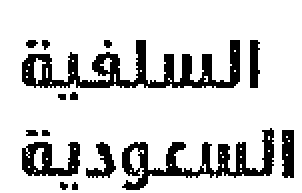
ويرد على هذا القول ما أورده مايكل سافاج في صحيفة الإندبندنت نفسها وفي العدد نفسه الذي نُشر فيه المقال السابق، إذ أثبت في مقالة له بعنوان: (تاريخ الوهابية) أن الوهابية (**تأسست على قراءات مباشرة من القرآن ومن حياة محمد. وتأثرت أيضا بكتابات رجل دين سني عاش في وقت سابق هو تقي الدين أحمد بن تيمية الذين يشترك معهم في الاعتقاد بأن الممارسة الإسلامية بحاجة إلى العودة إلى تفسير «أنقى» للنصوص الأساسية للدين**)[٢].

هذا الاضطراب والخلط في المفاهيم هو الذي أنتج معلومات مغلوطة عن السلفية والوهابية يتناقلها الكتاب الغربيون دون تثبت من صحتها أو حتى الاتصال بمصادر

---

(١) منها على سبيل المثال:
The management of Islamic Activism: Salafis, the Muslim) Brotherhood and the State Power in Jordan، إدارة النشاط الإسلامي: السلفيون، الإخوان المسلمون وسلطة الدولة في الأردن)، وكتاب: Global Jihad: Understanding September 11، الجهاد العالمي: فهم أحداث ١١ سبتمبر، و(The Name of the Enemy: Jihadi Salafis اسم العدو: السلفيون الجهاديون).

(2) Micheal Savage. Wahhabism: A History. The Independent, 1 November, 2007



موثوقة للتأكد من صحة ما يزعمون أنهم صادقون عما يكتبون عنه.

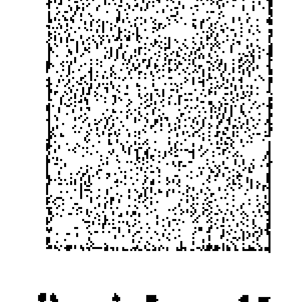
وفي سياق الربط الخطأ بين السلفية والوهابية كتب الكسندر فاسيليف Alexander Vasilyev، وهو صحفي من جمهورية التشيك، مقالاً بعنوان (السلفية: النظرية والتطبيق Salafism: Theory and Practice)، جاء فيه:

(إن عقيدة الوهابية، وهي الاسم الثاني للسلفية، مأخوذة من مفهوم السلف الصالح، والذي يشير إلى مجموعة من أصحاب النبي محمد الذين تزعم الوهابية إنها تتبعهم. هذه العقيدة الوهابية تأسست في العالم الإسلامي عن طريق الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقامت على أساس كتابات عالم الكلام ابن تيمية في القرن الرابع عشر)[1].

الدكتور هيليل فرادكن Hillel Fradkin، مدير مركز الإسلام والديمقراطية ومستقبل الإسلامي بمعهد هدسون Hudson Institute، الذي يتخذ من العاصمة الأمريكية واشنطن مقراً له، كتب بحثاً نشره موقع المعهد على شبكة

---

(1)http://www.watchdog.



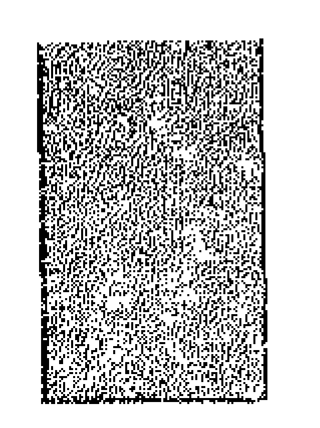
الإنترنت يوم ٢٦ مارس ٢٠٠٨م، بعنوان: (التاريخ والمستقبل غير المكتوب للسلفية The History and Unwritten Future of Salafism)[١]. ذكر فيه أن الغرض من بحثه هو تناول (أهم موضوع، وهو موضوع مؤسسة أو مجموعة المؤسسات المعروفة باسم الإخوان المسلمين)[٢]. وهو عنوان وهمي قصد به الحديث عن الوهابية وليس عن جماعة الإخوان المسلمين، ولم يكن هناك سبب علمي لاختيار ذلك العنوان غير المطابق لمضمون البحث. ما يؤكد ذلك هو أن الكاتب شرع في الصفحة الثانية في الحديث عن الوهابية. وجاء فيما كتبه ما يلي:

(بعد ١١ سبتمبر أصبحت القاعدة كلمة شائعة الاستعمال، هي اسم للمنظمات الجهادية والإرهابية التي لم تهاجمنا اليوم فقط، وإنما فرضت نفسها كرمز وفي بعض الأحيان كرأس تنظيمي للإرهاب الإسلامي العالمي... الأمريكيون باتوا على إطلاع بمصطلح الوهابية، وهو الاسم الذي أطلق

(1)www.hudson.org/index.cfm?fuseaction=publication_details&id=5509

(٢) المرجع السابق.

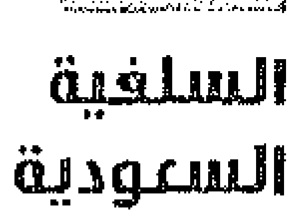




على شكل محدد وصارم للإسلام الذي تأسس في المملكة العربية السعودية. السبب الرئيس لمعرفة الأمريكيين بالوهابية هو ما نتج عن أحداث ١١ سبتمبر، خاصة أن الغالبية العظمى من إرهابيي ١١ سبتمبر كانوا سعوديين، مثل أسامة بن لادن زعيم القاعدة. ثم إن السعوديين قاموا بجهود كبيرة لنشر نموذجهم الإسلامي الوهابي والترويج له من خلال دعمهم لأنشطتها في مختلف أنحاء العالم، بما في ذلك الغرب. وتشمل هذه الجهود إنتاج المطبوعات التي تحمل وجهة النظر الوهابية وتوزيعها، وتأسيس المساجد، ودعم الأئمة، وإنشاء مختلف المؤسسات الإسلامية. هذه الجهود التي بدأت في الستينيات من القرن الماضي استمرت عدة سنوات وأثمرت نتائج ضخمة، لكن الأنظار لم تكن مسلطة نحو هذه النتائج حتى وقعت أحداث ١١ سبتمبر فكانت كافية لتركيز الضوء على هذه الأنشطة وجعلها في دائرة الاهتمام العام)[١].

تريفور ستانلي Trevor Stanley يبدأ مقاله الذي جاء

(١) المرجع السابق.



بعنوان: (فهم أصول الوهابية والسلفية Understanding the Origins of Wahhabism and Salafism، بالعبارة التالية:

(إن ظاهرة الإرهاب الإسلامي لا يمكن شرحها بصورة ملائمة مثلما هو الحال في تصدير الوهابية السعودية، كما يرى معظم المعلّقين. وحقيقة القول فإن التراث الأيديولوجي لجماعات مثل القاعدة هي السلفية، وهي حركة بدأت في مصر وانتقلت للمجتمع السعودي خلال عهد الملك فيصل)[1].

هذه الفقرة وحدها كافية لفهم توجهات كاتبها، وأنه أمسك قلمه وهو محاط بأفكار مسبقة كثيرة، وقوالب جاهزة لم يبذل أي جهد لإعمال عقله، والنظر فيها من باب إحقاق الحق، وتقرير الأمانة العلمية التي توجب عليه التثبت وعدم الركون إلى المصادر السماعية، أوالكتابات غير الموثوقة.

(1) http://www.freerepublic.com/focus/f-news/1716986/posts.

الوهابية.. الدين الرسمي في السعودية

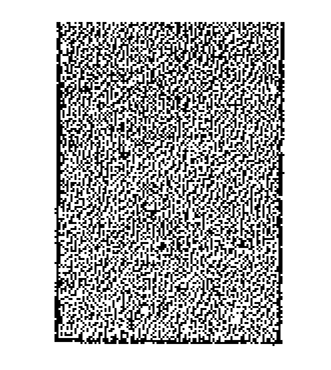
لا يفتأ بعض الكتاب الغربيين يرددون في كتاباتهم الفهم الخطأ الذي يشير إلى أن في السعودية ديناً خاصاً بالسعوديين دون سواهم من المسلمين.

في مقال تريفور ستانلي Trevor Stanley الآنف الذكر نقرأ النص التالي:

(الدين الوهابي الرسمي للسعودية اندمج مع بعض شرائح السلفية. وفي الوقت الراهن هناك منافسة حادة بين جماعات وأفراد من العلماء حول السلفية «الحقة»، إذ إن السلفيين الذين يؤيدون النظام السعودي يهاجمون جماعات مثل القاعدة ويصفونهم «بالقطبيين أي أتباع سيد قطب» أو التكفيريين)[١].

فالوهابية عند الكاتب هي دين رسمي للسعودية وفق ما أسماه (The official Wahhabi Religion of Saudi Arabia. وعلى الرغم من أن الكاتب أورد في ثنايا مقاله بعض الفقرات التي تحمل شيئاً من الحقائق والأحداث

(١) المرجع السابق.



التاريخية عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في الجزيرة العربية، إلا أنه ذكر أن السلفية نشأت في مصر في الفترة بين منتصف وأواخر القرن التاسع عشر كحركة فكرية بجامعة الأزهر بقيادة محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م)، وجمال الدين الأفغاني (١٨٣٩-١٨٩٧م)، ورشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥م)، وأن السعودية استوردت السلفية من بعض المفكرين المصريين، وهذا خلط واضح وسوء فهم للتاريخ والحقائق، إذّ إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سابقة لهذا التاريخ.

ويؤكد على ذلك أيضاً في الفقرة التالية:

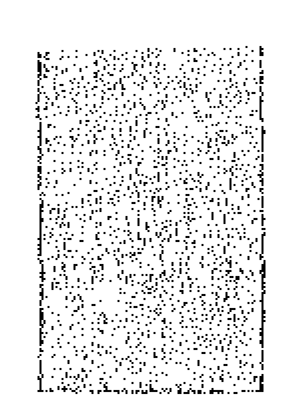
(على الرغم من أن السعودية توصف عادة بأنها مصدرة الوهابية، فهي في الحقيقة استوردت السلفية الإسلامية. فالسعودية أسست وموّلت مؤسسات من خارج حدودها وجعلتها تتخذ مقراً لها في المملكة، لكن معظم الشخصيات الموجّهة في هذه المؤسسات هم من السلفيين الأجانب. ومن أكثر هذه المؤسسات المعروفة رابطة العالم الإسلامي، التي تأسست في مكة عام ١٩٦٢م، والتي تقوم بتوزيع الكتب وأشرطة الكاسيت الصادرة من

البنا، وقطب وغيرهم من السلفيين الأجانب)[1].

ويقول كان إم Khak M في مقالة له عن حماية السعوديين لـ (الدين الوهابي) بوصفه ديناً خاصاً بهم يحاولون الترويج له وقسر المسلمين على اتباعه:

(يعمل السعوديون من أجل حماية الإسلام الوهابي الذي يتسم بضيق الأفق وبعدم التسامح والتمسك بحرفية تفسير المصادر الإسلامية من نفوذ التوجهات الإسلامية الإحيائية التي تدور في أجزاء أخرى من العالم الإسلامي. واعتمد السعوديون سياسة تصدير الوهابية للخارج لحماية الوهابية في الداخل. وقد حاولوا أيضا السيطرة على تفسير الإسلام حتى في أمريكا لمنع الطلاب السعوديين الذين يعيشون هنا من اكتشاف وجود تفسيرات أخرى للإسلام، بعضها متسامح ويدعو للحرية ويعتقد بأن الإسلام والديمقراطية متوافقان. وهذه المحاولة السعودية لحماية الوهابية هدفت لحماية واستمرارية نظامهم من خلال إعادة بناء

(١) المرجع السابق.



ما تبقى من العالم الإسلامي وفقاً لتصورهم مما ساهم في نمو التعصب والتشدد بين المسلمين)[١].

وإذا ما تركنا جانباً اتهامات الكاتب للسعودية بتأسيس المؤسسات والجماعات الإسلامية في الخارج وتمويلها، فهي تهمة يشاطره فيها الكثير من الكتاب الغربيين وسيأتي الحديث عنها لاحقاً، إلا أن المرء يصاب بالدهشة من وصف الكاتب رابطة العالم الإسلامي بأنها منظمة أجنبية موّلتها السعودية وجعلت أراضيها مقراً لها، وأن مهمتها توزيع كتب وأشرطة الكاسيت الخاصة بحسن البنا، وسيد قطب.

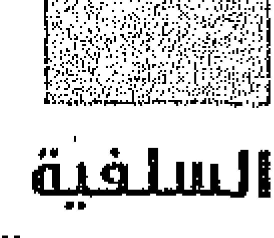
وتحسن هنا الإشارة إلى أن كاتب هذا المقال، تريفور ستانلي[٢]، ليس صحفياً هاوياً أو كاتباً مبتدئاً حتى نجد له العذر في هذا الخلط والاضطراب في إيراد المعلومة، لكنه كاتب متخصص تقول سيرته الذاتية إنه مهتم بالأيديولوجيا الراديكالية وطبيعة الأنظمة الاستبدادية، ومهتم كذلك بمناطق شرق ووسط أوروبا ومنطقة الشرق

(1) Khan, M.,"The Empire and the Kingdom: Saudi-US Relations in Crisis Again" , Glocaleye, 08.01.2003.
(2) http://www.pwhce.org/trevor.html.

الأوسط. ويقوم بالكتابة لدورية متخصصة في مراقبة الإرهاب تصدرها مؤسسة (جيمس تاون Jamestown)، التي تتخذ من العاصمة الأمريكية مقراً لها. وموقع المؤسسة على شبكة الإنترنت يشير إلى أن رسالتها تتلخص في توفير المعلومة لمتخذي القرار وغيرهم من المهتمين بالسياسة في المجتمع، وتوفر المعلومة عن الأحداث والاتجاهات في المجتمعات ذات الأهمية الإستراتيجية أو التعبوية للولايات المتحدة، وهي مجتمعات غالباً ما تضع العراقيل وتحد من الحصول على هذه المعلومات.

ومن العجب أن يعتقد بعض الكتاب الغربيين أن السعوديين يرون من لا يتبع التعاليم الوهابية غير مسلم، وكأن الوهابية جاءت بدين جديد غير الذي يعرفه المسلمون في كل مكان من الأرض. يقول فاليلي Vallely الكاتب في صحيفة الإندبندنت البريطانية في مقال بعنوان (الوهابية: العقيدة القاتلة):

(وتمتد إيحاءات تلك التسمية (يقصد الوهابية) بحيث يصبح المسلمون الذين لا يشاطرونهم تفسيرهم



للإسلام ليسوا مسلمين على الإطلاق...)[1].

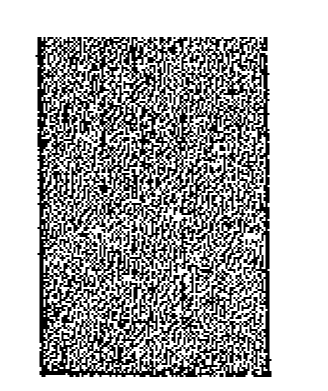
وهذا قول منكر لايقبله السعوديون لأنفسهم، ولا يقول به إلا جاهل بالإسلام، ليس في السعودية فقط بل في العالم الإسلامي كله.

الوهابية.. العقيدة السامة

من أكثر الكتابات تنوعاً وشمولاً ومجافاة للحقيقة في الوقت نفسه، عن السلفية والوهابية في المملكة العربية السعودية الملف الخاص الذي نشرته مجلة التايمز الأمريكية بعنوان: (**السعوديون مع مَنْ في الحرب ضد الإرهاب**) [2]، أصدرته بمناسبة مرور عامين على أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

استغرق التقرير ٢٦ صفحة من صفحات المجلة، وشارك فيه مراسلون لها من الولايات المتحدة، وأوروبا، والشرق الأوسط. احتوى التقرير على صور وإحصاءات وخرائط

(1) The Independent. 1 November 2007""Wahhabism: A deadly scripture Vallely,P
(2) Time. The Saudis: whose side are they on the war on terror ? September 15,2003.



توضيحية وعناوين فرعية صارخة ومستفزة.

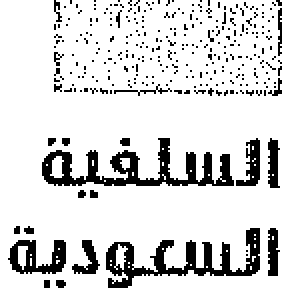
تحت عنوان: (اقتلاع جذور ثقافة التعصب)، قال التقرير في حث صريح للولايات المتحدة على مكافحة الإرهاب الوهابي:

(لابد من تغيير الأدمغة. إن الكثير من السعوديين مستاؤون من لصق صفة الإرهاب بالوهابية، وهي النسخة المتشددة من الإسلام المطبق في السعودية. إن قليلاً من السعوديين لا يزالون مستائين ويعترفون أن وهابيتهم تنتج الكراهية لغير المسلمين (أو الكفار بالمفهوم الإسلامي)، التي يمكن بدورها أن تقود إلى العنف... يقول تركي الحمد الكاتب السعودي في جريدة الشرق الأوسط إن رجال الدين الرسميين[١] في السعودية يرفضون الإرهاب، لكن المشكلة في الجذور النظرية للوهابية. إن الوهابية لا تشجع العنف مباشرة، لكنك إذا حللت العقيدة نفسها ستصل إلى هذه النتيجة. ولذلك يقول تركي الحمد إن على السعوديين أن يرفضوا الوهابية)[٢].

---

(١) يقصد أعضاء هيئة كبار العلماء.

(٢) مجلة التايمز، المرجع السابق، ص٣.



نلحظ في هذا التقرير تجنياً على الحقيقة، فالسعوديون مستاؤون من وصف الوهابية بالعقيدة المتشددة نعم، لكنهم لا يقرون أن وهابيتهم تنتج الكراهية للآخر، بل هي من شريعة الإسلام التي تدعو إلى التسامح والعدل مع غير المسلم. ومن أراد أن يتوسع في معرفة ذلك منهم فعليه أن يبحث في هذا الموضوع ليعرف الحقيقة من مصادرها وليس من تقارير الصحفيين الغربيين. ثم متى كان تركي الحمد معبراً عن رأي السعوديين حتى تعتمد المجلة على رأيه في علماء الدين؟ إنه بالنسبة لكثير من السعوديين مثقف له توجهات ليبرالية غربية وآراء تتناقض مع ثقافة السعوديين أنفسهم. وبالتالي فلا يمكن أن يعبر عن رأي الأقلية من السعوديين، فضلاً عن الأكثرية.

وفي هذا التقرير الشامل يكتب الصحفي الأمريكي ديفيد فان بيما David Van Biema بالتعاون مع مراسل مجلة التايمز في باريس بروس كروملي Bruce Crumley موضوعاً مستفزاً عن الوهابية في السعودية، اختارا له



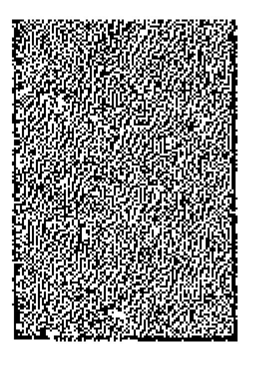
عنواناً صارخاً: (الوهابية: العقيدة السامَّة)[1].

يقول الصحفيان في مقدمة موضوعهما:

(الحركات الدينية تنشأ غالباً من الرؤى والأحلام. وقد رُوي أنه في القرن الثامن عشر الميلادي رأى رجل في منطقة نجد - وهو في النوم - أنه يخرج من جسده لهيب انتشر بشكل واسع وشمل المدن والمخيمات في الصحراء. أخبر هذا الرجل أحد المشايخ عن الرؤيا فقال له إن أحد أبنائك سيأتي بدين جديد يعتنقه الناس في جزيرة العرب، فكان هذا الابن هو محمد بن عبد الوهاب الذين تدين المملكة العربية السعودية بالعقيدة التي جاء بها)!!.

هذا النص الذي ورد في التقرير هو المعلومة الخطأ التي يحملها كثير من الغربيين عن السلفية و الوهابية في السعودية، وظنوا أنها حقيقة. فهم يجزمون أن في السعودية نسخة وهابية من الإسلام المتزمت جاء بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكأنها نسخة خاصة به وبالسعوديين. وهذه

(1) Wahhabism: Toxic Fith.



المعلومة الخطأ بنى عليها الغربيون كثيراً من تصوراتهم عن الدين والتدين في السعودية، وظنوا أن ما عند السعوديين هو النسخة المتشددة والمتزمتة من الإسلام التي جاءت بها (العقيدة الوهابية)، وجعلت لهم إسلاماً مختلفاً عما هو عند المسلمين.

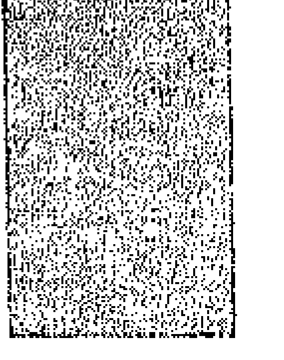
وفي هذا يقول الصحفيان:

(النسخة الوهابية من الإسلام الذي تخيله محمد بن عبد الوهاب هي الآن الدين الرسمي في المملكة العربية السعودية. إن الكثيرين هذه الأيام ينظرون إلى الوهابية برؤية سوداوية، فهي عقيدة سامة مرادفة للإرهاب).

ويستدل الصحفيان على صدق مقولتهما بما أورده ستيفن شوارتز[1] Stephen Schwartz في كتابه: (الإسلام في

---

(١) ستيفن شوارتز هو صحفي أمريكي من مواليد عام ١٩٤٨ م، كاتب مقال في عدد من المطبوعات. كان في بداية حياته محسوباً على اليساريين، إذ كانت كتاباته تركز على الماركسية. أعتنق الإسلام في ١٩٩٧ متأثرا بالصوفية، ويقول إنه ينتمي للمذهب الحنفي. عُرف بنقده الدائم لما يُسمى (الأصولية الإسلامية)، وخاصة (الوهابية السنية).وله فيها كتابات كثيرة، منها: (هزيمة الوهابية)، (مشكلة الوهابية)، وغيرها. تنقل في مؤسسات إعلامية عديدة، كان من خلالها ينتقد السعودية والوهابية. فُصل من إذاعة (صوت أميركا) بسبب نقده غير المهني والمبالغ فيه للسعودية. للمزيد عن حياته يمكن الرجوع إلى موسوعة ويكيبيديا.



السعودية Islam in Saudi Arabia) عندما قال:

(إذا كانت الوهابية هي العقيدة الرسمية فان ذلك يُنتجّ دولة إرهابية)!!

إن مثل هذه النصوص التي ينشرها الكتاب و الإعلاميون الغربيون في صحفهم ومجلاتهم الرصينة وتعتمد على جهلهم بالحقائق عن الآخرين، أو تتعمد الإساءة إليهم لها تأثيرها في أصحاب القرار وأهل الرأي، ذلك أنها تحظى بمصداقية عالية، وتبنى عليها الكثير من المعلومات والصور المشوهة.

وما لم تتبين الحقيقة وينكشف الزيف الذي تحتوي عليه هذه الكتابات والتقارير عن السلفية والوهابية فإن هذه المعلومات ستبقى مخزوناً تراكمياً مزيفاً عن الآخرين.

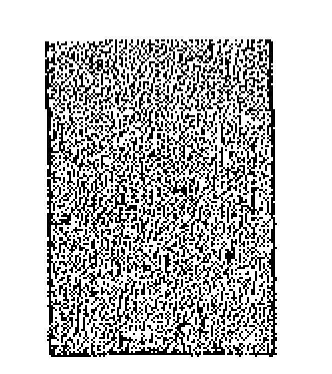
الوهابية.. عقيدة التطرف والإرهاب

تؤكد كثير من الكتابات الغربية على ما أسمته (تأثير الوهابية على السلفية)، وتحاول ربط المفهومين بالعنف، وخاصة الكتابات التي تلت المرحلة التي روجت الأخبار الأمريكية الرسمية وغير الرسمية عن وجود ١٥ سعودياً

من بين ١٩ من منفذي هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وأن هؤلاء يعتنقون أيديولوجية عنيفة تنتمي لتنظيم القاعدة الضارب الجذور في الوهابية التي لها تأثير عميق على السلفيين.

ومن الواضح أن الكتابة التي تتحامل على الوهابية والسلفية وتوجه سهام نقدها للإسلام، وإن كان نقداً سطحياً غير مبني على علم ومعرفة، تجد لها طريقاً للنشر في الغرب، بل ويُحتفى بها وتتداولها المنتديات على شبكة الإنترنت. ومن الأمثلة على ذلك المقال الذي كتبه روبرت مايغ Robert Maegh بعنوان: (الوهابية والإسلام السلفي Wahabism and Salafi-Islam)، حيث جاء في افتتاحية المقال ما يلي:

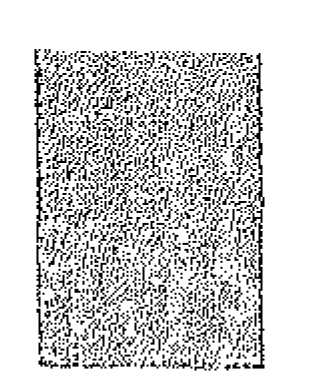
(الكتابة عن الوهابية والإسلام السلفي يمكن أن تملأ الكثير من الكتب، لكنني في هذا المقال سأحاول أن أوضح لماذا يكتسب هذا الموضوع أهمية كبيرة في وقتنا الراهن. فالحركتان تعتبران أصل الإرهاب الإسلامي، لأن العديد من الإرهابيين الإسلاميين من أمثال أسامة بن لادن، وأيمن الظواهري، وأبو مصعب الزرقاوي، قد



ألهمتهم الوهابية وأثّرت فيهم)[1].

تجدر الإشارة إلى أن روبرت مايغ هو مهندس بلجيكي ولد في ألمانيا، ويبدو أن المدة الطويلة التي أمضاها في أفريقيا ومنطقة الشرق الأوسط كانت سبباً لكتابة مثل هذا المقال ونشره، وهو مقال يفتقر لأدنى درجات الأمانة العلمية، إضافة إلى التناقض الذي يحمله بين طياته. فالكاتب لجأ للتعميم وإيراد الأوصاف القاطعة وكأن ما ذهب إليه هو الحقيقة التي لا تحتمل الشك، ويكفي للدلالة على ذلك قوله: (**إن الوهابية والسلفية تعتبران أصل الإرهاب الإسلامي**)، هكذا وفي كلمات معدودة يخلص إلى هذا الرأي الخطير. كما أن نعته لمجدد الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنه «أب الإسلام الإرهابي father of Islamic terrorism دليل آخر على تناقض الكاتب الذي وصفه بالمصلح ثم يرتد عن هذا الوصف، فكيف يستقيم نعت شخص ما بالإصلاح والإرهاب في آنٍ واحد؟ ومما يجدر ذكره هنا أن الشيخ

(1) http://www.talewins.com/social/wahabism.htm.

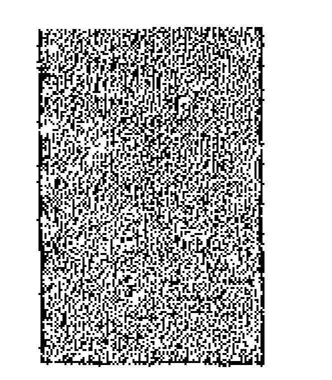


محمد بن عبدالوهاب يُعدّ من قبل الكثيرين «مجدد عظيم للإسلام a great reformer of Islam .

وبكل جرأة يمضي الكاتب ليصف الوهابية والسلفية بأنهما (**تحملان أكثر التعاليم عدوانية، وأنهما تُمثّلان جميع المسلمين، وأن معظم المجموعات الإرهابية مثل حماس، وجماعة الجهاد الإسلامي المصرية، وتنظيم القاعدة وجماعة أبو سياف، هم أتباع الوهابية أو «السلفية»**).

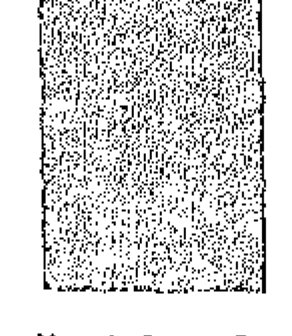
في عددها الصادر في ٧ نوفمبر ٢٠٠٧م، وتحت عنوان (الوهابية: عقيدة قاتلة Wahhabism : a deadly scripture)، بدأت صحيفة (اندبندنت The Independent) البريطانية مقالها بهذه العبارة: (**يُنفق النظام السعودي للملك عبدالله مليارات الجنيهات كل عام من أجل نشر الوهابية، وهي إحدى أكثر الحركات الأصولية الإسلامية تطرفاً**)(1). في هذا المقال، الذي تقل عدد صفحاته عن ٦ صفحات بمقاس (A4) ورد

(1)The Independent, 1 November 2007 (http://www.independent.co.uk/news/uk/home-news/wahhabism-a-deadly-scripture-398516.html).



ذكر للسلفية والسلفيين حوالي ٣٠ مرة. ويذكر المقال أن بعض السعوديين يصفون أنفسهم بأنهم سلفيون، وأن هذه السلفية ضاربة بجذورها بين الكثير من المهاجرين المسلمين البريطانيين من الجيلين الثاني والثالث، الذي يبحث عن هوية. ووصف المتورطين في التفجيرات التي حدثت في محطة أنفاق القطارات في مدينة لندن يوم ٧ يوليو ٢٠٠٥ بأنهم سلفيون، وأضاف المقال أن ريتشارد ريد Richard Reid، الذي حاول تفجير طائرة الخطوط الجوية الأمريكية American Airlines في رحلتها من باريس إلى ميامي Miami يوم ٢٢ ديسمبر ٢٠٠١م من خلال متفجرات كان يخفيها في حذائه، بأنه أيضاً سلفي وهابي متطرف.

وتحت عنوان (الإسلام السلفي له روابط عديدة مع مجموعة بن لادن Salafi Islam has many links to bin Laden group)، كتب كل من نك بريتن Nick Britten، ونيل تويدي Neil Tweedie في صحيفة (ديلي تيلغراف Daily Telegraph) البريطانية ما يؤكد الصورة المشوهة للسلفية عند الكتاب الغربيين نتيجة الفهم الخطأ لحقيقتها، وربطها بالتشدد والإرهاب وتنظيم القاعدة.



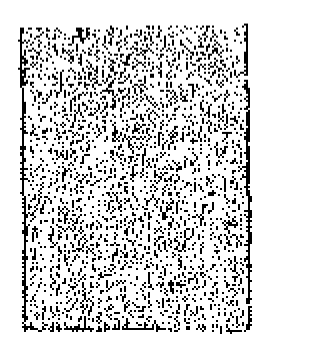
يقول الكاتبان:

(الإسلام السلفي تفسير متعصب يشدد على الالتزام بمبادئه الأساس ورفض الشوائب المعاصرة. إن عدداً من الإرهابيين المشتبه بهم والمرتبطين بأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة هم من بين الملتزمين بهذا المذهب)[١].

ويمضي الكاتبان في قولهما إن:

(هناك مجموعتان في بريطانيا تتبعان التعاليم السلفية، وهما جماعة المهاجرين، وجماعة مؤيدي الشريعة، اللتان تتخذان من مسجد فينزبيري بارك Finsbury Park Mosque في شمال لندن مقراً لهما. لقد ثبت أن العلاقة بين الفكر السلفي والإرهاب تثير الحرج للسعودية، التي أنفقت عائلتها المالكة مبالغ طائلة لتشجيع نشر هذا الفكر. والمركز الرئيس لدراسة هذا الفكر هو الجامعة الإسلامية بالمدينة التي تأسست

(1) Daily Telegraph, August 31, 2002. http://www.telegraph.co.uk/news/uknews/1405868/Salafi-Islam-has-many-links-to-bin-Laden-group.html.



عام ١٩٦١م)[١].

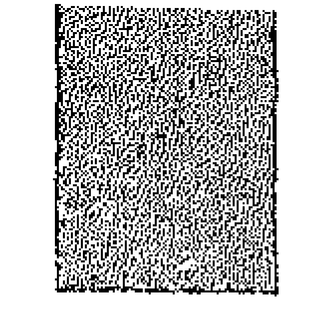
ولا يتردد الكاتبان في وصف محمد عطا، أحد المتهمين الذين قضوا في تفجيرات ١١ سبتمبر، بأنه سلفي وأنه كان يحمل كُتيباً عن السلفية مع أمتعته الشخصية، وأنه يُعتقد أن ريتشارد ريد، الذي حاول تفجير طائرة بمتفجرات أخفاها في حذائه قد درس الفكر السلفي... إنه منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر يجري نقد للمدارس التي تُدرّس السلفية في المملكة العربية السعودية بوصفها بيئة تفرّخ الإرهاب.

ولا تختلف صحيفة الجارديان The Guardian البريطانية في تناولها للسلفية والسلفيين عن بقية الصحف الغربية، فقد نشرت مقالاً لكل من جون هوبر John Hooper وبريان وايتكار Brian Whitaker بعنوان: (وجهة النظر المتطرفة للإسلام توحّد الإرهابيين المشتبه بهم Extremist view of Islam unites terror suspects). تقول افتتاحية المقال:

(اكتشف المحققون الذين يبحثون عن شبكة أسامة بن

---

(١) المصدر السابق.



لادن أن جميع الإرهابيين الذين تم اعتقالهم في أوروبا خلال العشرة شهور الماضية يتبعون التفسير السلفي المتطرف للإسلام)[١].

وعلى ذات النهج يمضي المقال في اتهام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأنها المركز الرئيس (لدراسة الأفكار السلفية وتصديرها)، ويزعم أن الجامعة الإسلامية بالمدينة قد عُرفت منذ وقتٍ طويل بأنها مكان تجنيد المقاتلين، وأن التدريس الرسمي فيها من النوع المحافظ المتطرف الذي وافق عليه الحكام السعوديون[٢].

في تعريفهم للسلفية يقول كاتبا المقال:

(السلفية ليست طائفة، لكنها طريقة للنظر للإسلام. وتوجد بصورة رئيسة في المناطق التي تتبع المذهب الحنبلي «وهو أكثر المذاهب الأربعة جموداً»، وبخاصة في الجزيرة العربية)[٣].

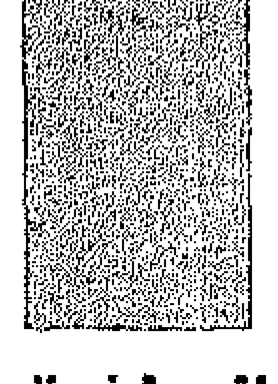
ولو سُئل أحد كاتبي المقال عن مذهب الإمام أحمد الذي

---

(1) The Guardian, October 26, 2001 http://www.guardian.co.uk/world/2001/oct/26/afghanistan.terrorism2.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

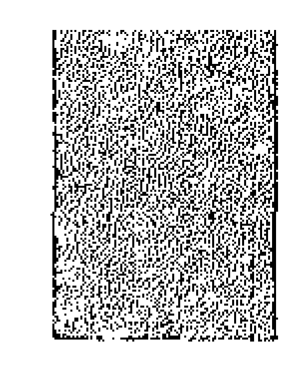


وصفاه بالجمود لحارا في الجواب، ولطفقا يلتفتان يمنة ويسرة محاولين الاستشهاد بما سمعاه في الفضائيات، أو بعض ما قرآه في الصحف السيارة.

إن القارئ المنصف تتملكه الحيرة وهو يقرأ آراءً تُروّج من أقوام يدّعون أنهم أصحاب مذهب سليم في التفكير العقلاني، والرؤية الموضوعية، والتثبت من الحقيقة، والبعد عن التسرع في إصدار الأحكام الظنية التي لا يسندها دليل أوبرهان.

وفي هذا السياق كتب بول سكيم Paul Schemm، تقريراً من القاهرة لوكالة الأسوشيتدبرس Associated Press، ونقلته عنه مجلة يو إس إيه تودي USA Today بعنوان: (تصاعد الإسلام السلفي المتشدد في الدول العربية Ultraconservative Islam - Salafis – on rise in Arab nations)[1]. وعلى الرغم من أن التقرير حاول أن لا يكون نقداً صرفاً للسلفية، وأن يكون متوازناً في طرحه، إلا أنه لم يخلُ من فقرات تحاملت على السلفية،

(1)4 USA Today, August 21, 2008. http://www.usatoday.com/news/religion/200821--10-islam-salafis_N.htm.



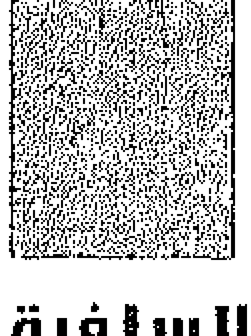
وتناغمت مع ما ذُكر سلفاً من الأفكار النمطية المسبقة، والقوالب الجاهزة التي يستقي منها بعض الكتاب الغربيين معلوماتهم التي يدبجون بها مقالاتهم وتقاريرهم.

يقول التقرير:

(تُعدّ السلفية من بين الطيف الواسع للفكر الإسلامي الأكثر محافظة. كما تعدّ الوهابية السعودية ذات التفسير المتزمت قائدة لهذا التوجه السلفي، ولذ نجد أن الخطباء السعوديين على القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت هم أساس نشر السلفية)[1].

ويضيف التقرير أن منتقدي السلفية يشعرون بالقلق من أن تزايد أعداد السلفيين في مصر وفي بعض الدول العربية الأخرى مثل الأردن ولبنان سيزاحم الإسلام الأكثر ليبرالية وتسامحاً الذي ظل يمارس في هذه البلدان فترة طويلة. وأضاف التقرير أن المنتقدين لتصاعد أعداد السلفيين قد حذروا من أن النهج السلفي لا يختلف كثيراً عن مجموعات العنف مثل القاعدة.

(١) المصدر السابق.



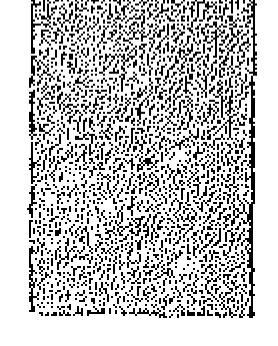
ويمضي للقول إن السلفيين يمكن أن يقعوا بسهولة في أعمال العنف، ويضيف:

(إن الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر قد تحالفت مع تنظيم القاعدة، وهي السبب في القيام بتفجيرات وهجمات أخرى، وإن هناك مجموعات صغيرة من السلفيين في شمال لبنان وقطاع غزة قد امتلكوا السلاح وكونوا جماعات على غرار الجماعات الجهادية)[١].

الأفكار المشوهة عن السلفية و«الإسلام السلفي» لم تكن مقتصرة على ممارسات أولئك الكُتاب الغربيين، بل إن بعض المسلمين ممن أثّرت فيهم هذه الكتابات وتشربوا ثقافة الغرب، وكتبوا بلغته، قلدوا الكتاب الغربيين في وصم السلفية بالإرهاب، والتطرف، والعنف.

توفيق حامد، وهو طبيب يعيش في الغرب، كتب مقالة في صحيفة وول ستريت جورنال The Wall Street Journal عنوانها: (المشكلة مع الإسلام The Trouble With

(١) المصدر السابق.



Islam) حرض فيها الحكومات الغربية لمواجهة ما أسماه «الإسلام الراديكالي». يقول الكاتب:

(من دون مواجهة جذور أيدلوجية الإسلام الراديكالي سيكون من المستحيل مكافحته. فبينما هناك العديد من القنوات الأيدلوجية الإسلاموية، فإن الجذر الرئيس يُدعى السلفية، أو الإسلام السلفي، وهو نسخة من الدين تتسم بالعنف والمحافظة المتطرفة)[1].

ويذهب الكاتب إلى أبعد من ذلك، فيحرّض المؤسسات الإسلامية والعلماء في العالم الإسلامي على إدانة السلفية، ويرى أن عدم إدانتهم ونبذهم يؤدي إلى انعدام الفائدة المرجوة من حوار أتباع الأديان مع المسلمين. يقول:

(إن حوارات الأديان التي تجري مع المسلمين غير مثمرة. فيجب على المشاركين في هذه الحوارات أن يطلبوا من المنظمات الإسلامية، والعلماء على وجه التحديد وبطريقة لا لبس فيها ولا غموض، بإدانة عناصر السلفية في المساجد ووسائل الإعلام. والمسلمون،

(1) The Wall Street Journal, April 3, 2007. http://www.opinionjournal.com/editorial/feature.html?id=110009890.

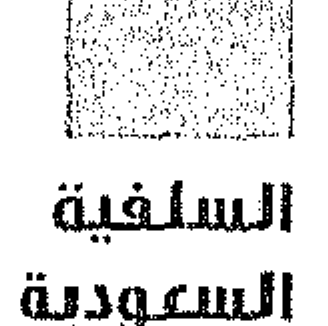
الذين لا يعارضون جهاراً الأحكام الوحشية للشريعة، يجب أن لا يُعتبروا «معتدلين»)[١].

ويختم توفيق حامد مقالته بعبارة تحريضية تتسق مع الأفكار التي ظل ينادي بها في مقالته، ومع الدعوات الكثيرة التي ظلت تتردد في الغرب بشأن مواجهة الإسلام السلفي، وتشجيع ما يطلقون عليه «الإسلام المعتدل»:

(التسامح لا يعني التغاضي عن الأعمال الوحشية تحت مظلة النسبية. لقد حان الوقت أمامنا جميعاً في العالم الحر لكي نواجه حقيقة الإسلام السلفي، أو سيستمر الإسلام الراديكالي في مواجهتنا).

أما الدكتور زهدي جاسر، رئيس المنتدى الإسلامي الأمريكي للديمقراطية (AIFD)، وهو طبيب وضابط سابق في البحرية الأمريكية. فقد كتب مقالاً بعنوان: (هزيمة السلفية والوهابية هي الطريق الصحيح Defeating Salafism and Wahhabism is the Right Way)[٢].

(١) المصدر السابق.
(2)http://www.mzuhdijasser.com/3332/defeating-salafism-and-wahhabism-the-right-way.



ما ورد في المقال لا يمثّل وجهة نظر الكاتب الشخصية فحسب، بل هو مقال له أبعاده وأجندته الظاهرة، إذ يتناول دعوى حظر نشاط السلفية في طاجيكستان. يشير الكاتب إلى أن المحكمة العليا في طاجيكستان قامت في ٩ يناير من عام ٢٠٠٩م بحظر المساجد السلفية (banned Salafist mosques)، على الرغم من أن المحكمة قالت في بيانها، بحسب المتحدث الرسمي لها، والذي نسب إليه الكاتب قوله في نفس الفقرة التي أوردها، (إن المحكمة قد قررت حظر الجماعة السلفية). وهناك فرق بين حظر المساجد وحظر الجماعة نفسها.

لم يستطع الكاتب أن يُخفي الغرض من كتابته، فقال:

(من الوهلة الأولى يبدو أن طاجيكستان تملك مقومات دولة إسلامية «معتدلة». فالغالبية العظمى من المسلمين في هذه الدولة، التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي، هم من المسلمين السنيين الذين يتبعون المذهب الحنفي، ويعارضون بصورة علنية السلفية الوهابية، ومعارضتهم للتطرف المتشدد، والأيديولوجيات المنغلقة المتمثلة



في السلفية والوهابية)[1].

ويحتفي الكاتب بقرار المحكمة الطاجيكية حظر نشاط الجماعات السلفية، بإيراد المزيد من الاقتباسات لتعزيز رأيه حول ضرورة وقف نشاط هذه الجماعة، بل وتصفيتها من الوجود تماماً. ففي عنوان فرعي (تنامي تهديد السلفية The Growing threat of Salafism) كتب زهدي جاسر:

(قال وزير داخلية محافظة سوغد Soghd Province، عبدالرحيم كاخاروف Abdurahim Kakharov يوم ٣٠ يونيو ٢٠٠٨م، إنه يجب السيطرة على السلفيين «لأنهم شركاء للوهابية»)[2].

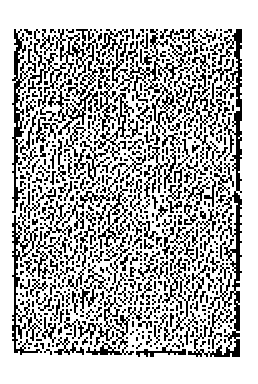
ويختم زهدي جاسر مقالته بتوصيات يرى أن تُنفذ حتى يتم استئصال شأفة السلفية، من مثل قوله:

(نحتاج أن نجد طريقة لهزيمة السلفية والوهابية بصورة علنية وعلى المشهد العام، وتأسيس حركة عامة وسط المجتمع الإسلامي ضد السلفيين تكون مبنية

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.



على أساس الحريات العالمية).

وبعبارات تحريضية يرى الكاتب أن حظر نشاط الجماعة وحده لا يكفي لكبح جماحها، بل يحث على التخلص منها بصورة نهائية:

(التعرف على السلفية والوهابية وحظرها لا يسير على الطريق الصحيح على ما يبدو، فالحركات السلفية قد نجت من أكثر الأنظمة بطشاً وقمعاً في القرن العشرين. هل نصدق حقيقة أن حظر هذه الجماعات في المجتمعات الحرة سيمنع وجودها؟)[١].

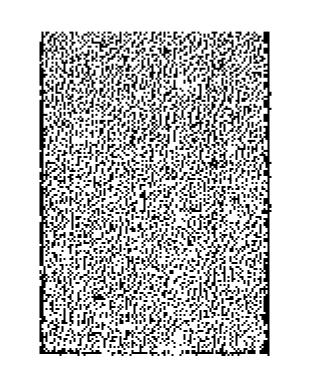
وفي بحث بعنوان: (الشرق الأوسط وتأثير السلفية وتحويل المجتمعات المسلمة في أوروبا إلى مجتمعات متطرفة Middle East Salafism's Influence and the Rradicalization of Muslim Communities in Europe)[٢]، يناقش خوان جوسي اسكوبار ستيمان Juan José Escobar Stemmann، ما سماه «الأيديولوجية السلفية» ودورها في الهجمات التي استهدفت أوروبا مثل

(١) المرجع السابق.
(2) http://meria.idc.ac.il/journal/2006/issue3/jv10no3a1.html.

هجمات مدريد في مارس ٢٠٠٤م، والهجمات التي حدثت في العاصمة البريطانية لندن في يوليو ٢٠٠٥م، ودور هذه الهجمات في إحداث عملية تطرف وسط قطاعات معينة بين المسلمين في أوروبا.

ويذهب الكاتب في عنوان فرعي حول (السلفية كمنهج Salafism as a Method) إلى أن الأيديولوجية الجهادية اليوم مبنية على ما هو معروف بالسلفية، وهي – على حد قوله – مفهوم غامض ظل يُطلق على مختلف الحركات خلال الحقب الماضية. ويضيف أن السلفيين يهدفون إلى استئصال الظواهر غير السوية التي علقت بالممارسات الإسلامية على مر القرون. ويشير إلى أن الحركة السلفية استفادت من توجه المملكة العربية السعودية لنشر الإسلام الوهابي.

وفي حديثه عن الجماعات السلفية في أوروبا، يرى الكاتب أن دعم أو تبرير الإرهاب، ورفض الاندماج في المجتمعات المضيفة، وتكوين دولة إسلامية في أوروبا، تمثل جميعها الأفكار المشتركة لأولئك الذين يتبنون السلفية كنظام قيمي وأنموذج سلوكي.

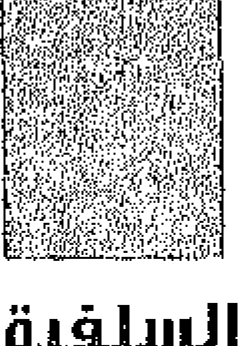


ولا يخفى هنا التناقض البيّن والاضطراب الواضح في ما ذهب إليه الكاتب، فهو يرى أن السلفيين يهدفون إلى استئصال الظواهر غير السويّة في المجتمع، لكنه في الوقت نفسه يؤكد أن السلفيين في الغرب يدعون إلى الإرهاب، ويرفضون الاندماج في المجتمعات المضيفة، ويسعون إلى تكوين دولة إسلامية في أوروباً.

ويختتم الكاتب بحثه بقوله:

(إن السلفية أولاً وأخيراً منهج للبحث عن الحقيقة الدينية، والرغبة في ممارسة الإسلام كما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها منهج ديني انتشر تأثيرها في العالم العربي وكذلك في أوروبا بفضل الدعم الذي تلقته من المملكة العربية السعودية ودول الخليج والتي ساعدت على نشر هذه الرؤية المتفردة عن الإسلام، وهي رؤية قريبة من الوهابية).

وتحت عنوان: (تنامي مشكلة السلفية في هولندا: تبرير تعدد الزوجات The Growing Problem of Islamist Salafism in Holland: Justifying Polygamy كتب إميرسون فيرمات Emerson Vermaat واصفاً السلفيين:



(السلفيون متطرفون مسلمون أقرب أيديولوجياً للجماعة التي تدعي النقاء وهي الوهابية أو النسخة السعودية من الإسلام)[1].

ويضيف:

(إن زعيم القاعدة أسامة بن لادن سلفي مسلم أو سلفي جهادي).

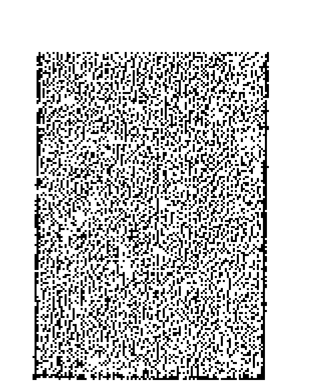
تجدر الإشارة إلى أن إميرسون هو صحفي يعمل في التحقيقات في هولندا وهو متخصص في الجريمة والإرهاب.

والمقال في جملته تهكم ونقد وسخرية من ممارسة تعدد الزوجات عند المسلمين، ذلك أن الكاتب أورد أسماءً لشخصيات مسلمة ناشطة في هولندا يزعم أنها سلفية لأنها تدعو لتعدد الزوجات، ومن بينها صهيب السوري الأصل، ووالده أحمد سلام.

نقرأ في المقال وصفه لهذه القضية:

(السلفيون يتزوجون في مساجدهم، ولا يعارضون

(1) http://www.militantislammonitor.org/article/id/3499.



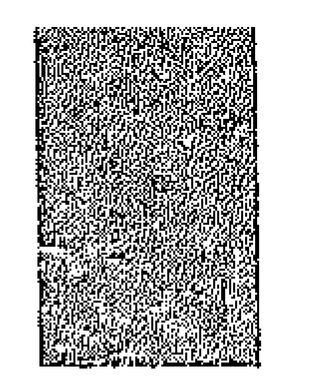
مسألة الزواج بأكثر من زوجة. النبي محمد نفسه قد مارس التعدد، فلماذا يرفض سلفي متزمت فعل ذلك؟ فالمزيد من الأطفال هو الأفضل. وأحمد سلام، والد صهيب، متزوج بامرأة أخرى. وقد علم «الصحفي» باتريك بو Patrick Pouw أن أحمد أقام حفل الزواج الإسلامي لابنه صهيب في مسجده السلفي في مدينة تيلبيرج Tilbur. ويضيف أنه وفقاً لجهاز المخابرات والأمن الهولندي AIVD فإن هذا المسجد تلقى أموالاً من المملكة العربية السعودية)[1].

في سبتمبر من عام ٢٠٠٧م، كتبت كيتلين بي. دوهرتي Caitlin B. Doherty في مجلة (The National Interest)، وهي مجلة أمريكية محافظة ومرموقة تصدر كل شهرين عن مركز نيكسون Nixon Center، كتب تعليقاً بعنوان: (هل الإرهاب والإسلاموية والسلفية في أوروبا تربطهما علاقة؟)[2]، جاء فيه:

---

(١) المصدر السابق.

(2)http://nationalinterest.org/commentary/inside-track-are-terrorism-islamism-and-salafism-in-europe-connected-1792



(الاعتقالات الأخيرة التي طالت إرهابيين مشتبه بهم في كل من ألمانيا والدنمارك أذكت الاهتمام والرغبة في معرفة العلاقة بين ممارسة السلفية والجهاد ضد الغرب. وكان اثنان من الذين تم اعتقالهم بتهمة تدبير الهجمات في ألمانيا هم من الرعايا الألمان الذين اعتنقوا السلفية، أما الثالث فكان تركياً)[١].

يُذكر أن التعليق الذي كتبته دوهرتي جاء في أعقاب حلقة النقاش التي استضافها مركز نيكسون يوم ١٩ سبتمبر ٢٠٠٧م، وشاركت فيها كل من جيت كلوسين Jytte Klausen، وهي دنماركية تعمل أستاذاً للسياسة المقارنة في جامعة برانديز Brandeis، ومؤلفة كتاب: (التحدي الإسلامي: السياسة والدين في أوروبا الغربية The Islamic Challenge: Politics and Religion in Western Europe.)، وجوسلين سيساري Jocelyn Cesari، وهي أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك، ومدير برنامج «الإسلام في الغرب» بجامعة هارفارد، ومؤلفة كتاب:

(١) المصدر السابق.



(عندما يلتقي الإسلام والديمقراطية When Islam and Democracy Meet).

ناقشت الحلقة التساؤلين التاليين:

ما هي الثقافة السلفية في أوروبا؟

هل يمكن لهذه الثقافة أن تنشر عقيدة الإرهاب؟

وأوضحت كلوسين في محاضرتها المشار إليها أن السلفية تفسير حرفي للقرآن وتوصف دائماً بأنها «الإسلام الأصولي»، وأضافت أن المجموعات والحركات السلفية تشمل الوهابيين، والديوبانديين Deobandis، وجماعة التبليغ[١].

وبحسب موسوعة «ويكيبيديا Wikipedia» على شبكة الإنترنت فإن الديوباندي هو الشخص الذي يتبع جماعة الديوبانديين الإسلامية التي تأسست في مدرسة دار العلوم في مدينة ديوباند الهندية، وكان تأسيسها في عام ١٨٦٦م[٢].

وعلى الرغم من الاختلاف مع كلوسين في عدد من

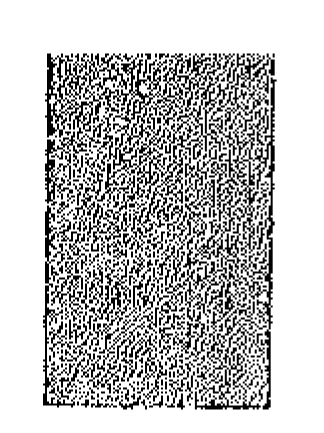
(١) المصدر السابق.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Deobandi.

الملاحظات والأفكار التي تناولتها، إلا أن طرحها اتسم بالتوازن، وهو طرح لم يتأثر كثيراً بالخطاب الغربي عن السلفية والسلفيين بصورة خاصة والإسلام بصورة عامة. فقد ذكرت – على سبيل المثال- أن هناك براهين كثيرة (**على أن أشخاصاً قد اعتنقوا الإسلام من خلال المساجد السلفية المختلفة، وبعدها تحولوا إلى «جهاديين»**)، لكنها تستدرك مشيرة إلى أن عدد المساجد السلفية في أوروبا والتي كانت وراء مشكلة التحول هذه قليلة العدد. وتضيف أن هناك عدداً كبيراً من السلفيين الذين يعملون مع الشرطة البريطانية، أو مؤسسات مكافحة الإرهاب. وتمضي في القول إن هناك برامج في بريطانيا يقوم عليها سلفيون، وهذه البرامج تعمل على تحويل الإرهابيين السجناء «للإسلام السلمي» بدلاً عن «جهاد العنف» – على حد قولها[١].

في مستهل محاضرتها قالت جوسلين سيساري، إن «السلفية» مشتقة من كلمة «سلف»، والتي تعني أصحاب

(١) المصدر السابق.



النبي محمد، وهي مصطلح إيجابي لأي مسلم. وأكدت: (ليس كل أشكال الإسلام، حتى وإن كانت محافظة جداً ونقية، تقود للجهادية).

وانتقلت بعدها للحديث عن ما أسمته «السلفية الوهابية» الحديثة، وقالت:

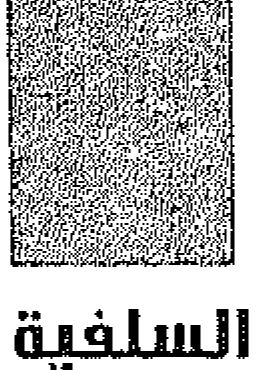
(تنظر الوهابية لحياة النبي محمد في المدينة على أساس أنها العصر الذهبي لممارسة الإسلام وعلى وجه الخصوص في المسائل المتعلقة بالأخلاق والآداب. وترفض الوهابية جميع الأمور الدخيلة على الإسلام، وتحاول «تنقية» الدين وهي – أي الوهابية – يُنظر إليها عموماً على أنها أكثر محافظة من السلفية، فهي ترفض الثقافة، والتاريخ، والفلسفة، والصوفية، وكل المسلمين الذين لا يتبعون منهجها).

وتختتم بقولها:

(يُعدّ الإسلام أحد أكثر الأديان التي تمثّل تحدياً بديلاً للأيديولوجية الغربية وخطاب العولمة)[1]. وحذّرت من

---

(1)http://nationalinterest.org/commentary/inside-track-are-terrorism-islamism-and-salafism-in-europe-connected-1792



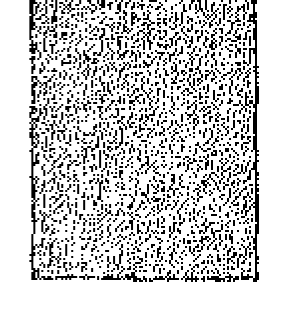
الربط بين المسلمين المحافظين والجهاديين.

أما رويل ميير Roel Meijer فقد أكد في مقدمته للكتاب الذي حرره بعنوان: (السلفية العالمية: حركة الإسلام الدينية الحديثة Global Salafism: Islam's New Religious Movement أن السلفية لم تحظ باهتمام كبير قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر[1]. وأضاف أن «الأصولية» حظيت باهتمام الدوائر الأكاديمية وغدت موضوع البحث عند هذه الدوائر في أعقاب اغتيال الرئيس المصري أنور السادات عام ١٩٨١م.

هذا الكتاب، كما ذكر محرره، اعتمد على ما دار في مؤتمر حول السلفية كحركة عالمية)، والذي عُقد في الفترة من ٢٧ إلى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٧م بمدينة نيجمرجين Nijmergin في هولندا. ويذهب الكاتب إلى أن السلفية عندما بدأت في الانتشار في أوروبا في حقبة التسعينيات من القرن الماضي جذبت أنظار بعض الجهات الأكاديمية، لكن البحوث حول السلفية ظلت تتسم بالطابع المحلي، أو كانت ذات نطاق عام

---

(1) Global Salafism Islam's New Religious Movement. Roel Meijer(edit.), Hurst & Co. (Publishers) Ltd. United Kingdom, 2009.

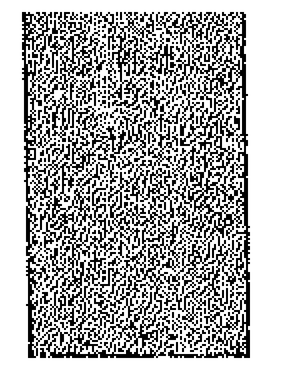


يتعامل مع السلفية من خلال ربطها بالراديكالية. ويضيف أنه مع الاهتمام الذي حظيت به السلفية بعد أحداث ١١ سبتمبر، وظهور العديد من الكتابات التي تتناول السلفية والوهابية، إلا أن هذه الكتابات كانت محصورة إما في مجال «الدراسات الأمنية»، أو أنها كانت تدور حول وجهة النظر الشائعة التي تضع الوهابية كمرادف للعنف(١).

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه جمع آراء مختصين من مختلف التخصصات، منهم متخصصون في السياسة، ومؤرخون، ومهتمون بالشأن الإسلامي، وعلماء اجتماع، وباحثون في الدراسات الأمنية. ويُحمد للمحرر أنه جمع أوراق هذا المؤتمر في كتاب، ما أتاح الاطلاع على أفكار المشاركين وآرائهم بسهولة للتعرف عليها عن كثب.

في المبحث الأول من الجزء الأول من الكتاب، والذي جاء بعنوان (عقيدة السلفيين Salafist Doctrine)، كتب برنارد هيكل Bernard Haykel عن طبيعة فكر السلفية وعملها، وناقش معنى السلفية كمصطلح، وانتشار السلفية

(١) المصدر السابق ص ٢.

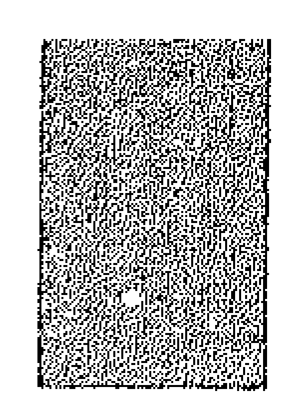


كحركة اهتمت بصورة رئيسة بتنقية الدين الإسلامي مما لحق به من ممارسات خطأ، وتقديم نموذج للدين كما كان عليه حال السلف الصالح.

وعن انتشار السلفية يدحض الكاتب ما ذهب إليه كثيرون من أن تمويل المملكة العربية السعودية لهذه الحركة وترويجها لأفكارها هو الذي أدى إلى انتشارها وتغلغلها في المجتمعات. ويقول في هذا الجانب: (هذا الزعم فيه الكثير من التبسيط للأمر، إذ إن السلفية كانت موجودة قبل تأسيس المملكة العربية السعودية، والكثيرون لم يتلقوا هذا التمويل السعودي)[١].

ولعل الاطلاع والتناول بالبحث والتحليل والنقد لأفكار وكتابات برنارد هيكل يُعدّ أمراً مهماً. فالكاتب هو أكاديمي وباحث، وهو أستاذ الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة برينستون Princeton University، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد Oxford العريقة في بحثه الذي ركز على

(١) المصدر السابق ص ٣٧.



الحركات الإسلامية السياسية والفكر الشرعي.

وفي المبحث الذي جاء بعنوان: (جهاديون سلفيون أم ثوريون)؟ حول الدين والسياسة في دراسة الإسلاموية المتشددة Jihadi-Salafis or Revolutionaries? On Religion and Politics in the Study of Militant Islamism، والمنشور في الجزء الثالث من الكتاب المذكور، ذهب توماس هيجغامار Thomas Hegghammer، إلى أن مصطلحات مثل «جهادي»، «سلفي»، «تكفيري»، و«سلفي جهادي» يتم استخدامها بصورة واسعة اليوم في الكتابات الأكاديمية، وبدأت تستخدم في وسائل الإعلام. ومضى للقول أنه يُعتقد على نطاق واسع أن هذه المصطلحات تُعد من الأدوات التي تتسم بالدقة والموثوقية والتي يمكن عن طريقها تحليل الحركة الإسلامية. لكن الكاتب يستدرك قائلاً: إنه في الوقت نفسه، فإن الكتابات الأكاديمية تعاني من ندرة التعريفات الدقيقة لهذه المصطلحات، إضافة إلى التناقضات في إطلاق هذه المصطلحات على مجموعة

أو أيديولوجية معينة)[1].

ويضيف: (على الرغم من شيوع استخدام مصطلح «سلفي جهادي» في الأدبيات الأكاديمية التي تناولت الإسلام الراديكالي في السنوات الأخيرة، إلا أن المدهش أن هناك صعوبة في إيجاد تعريف سياسي ومادي ومحدد لها)[2].

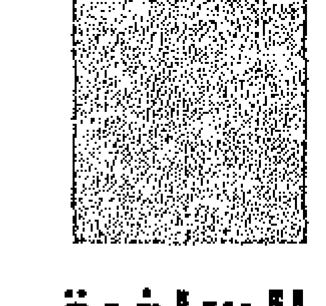
وضمن الكتاب الذي نحن بصدده، يكتب روفين باز Reuven Paz تحت عنوان (حوارات داخل الأسرة: حوارات السلفية الجهادية حول الإستراتيجية، التكفير، التطرف، والتفجيرات الانتحارية والشعور بنهاية العالم Debates Within the Family: Jihadi-Salafi Debates on Strategy, Takfir, Extremism, Suicide Bombings, and the Sense of the Apocalypse):

(منذ ظهور التيار الجهادي العالمي في منتصف التسعينيات، وعلى وجه الخصوص، منذ المرحلتين الرئيسيتين للإرهاب السلفي الجهادي: ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ومايو ٢٠٠٣م، مع احتلال القوات الأمريكية

---

(١) الصدر السابق ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣.



للعراق، عُرف هذا التيار بالتيار السلفي الجهادي)[١].

ثم يُقسم الكاتب السلفية الجهادية إلى ثلاثة فروع:

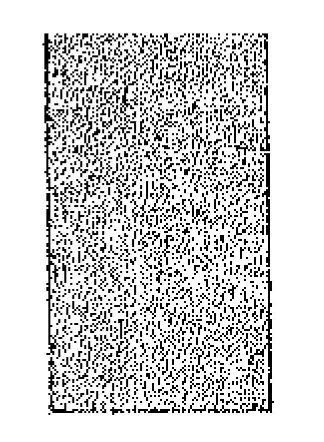
الفرع الأول: تأسس في مصر من مجموعة متطرفة من جماعة الإخوان المسلمين المصرية، وعلى وجه التحديد علماء مثل سيد قطب، وسيد إمام شريف، الذي يُعرف أيضاً باسم عبدالقادر بن عبدالعزيز أو الدكتور فضل. وضمت هذه الجماعة أيضاً من المصريين المغتربين في المملكة العربية السعودية، ومؤسسي جماعة الجهاد الراديكالية المصرية، والجماعة الإسلامية خلال حقبة السبعينيات من القرن الماضي.

الفرع الثاني: تعود جذوره إلى المملكة العربية السعودية ويتمثل في الوهابيين الجدد، يقودهم المفتي والشخصية المرموقة الشيخ عبدالعزيز بن باز[٢] وتلاميذه الذين أسسوا، بجانب أمور أخرى، حركة الصحوة، بزعامة الشيخين سلمان العودة وسفر الحوالي. وخلال حقبة

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٧.

(٢) لاحظ الخلط المتعمد في المعلومة، إذا يحاول المؤلف إقحام رموز إسلامية مع غيرها ليكتسب رأيه مصداقية عند القارئ!!



التسعينيات اكتسب هذا الفرع شرعية من قبل مجموعتين من علماء الوهابيين الجدد التي ينتمي إليها رجال الدين الأكبر سناً مثل الشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ عبدالعزيز الجربوع، والشيخ صالح الفوزان، إضافة إلى رجال الدين الشباب الذين شاركوا في الجهاد في أفغانستان، مثل أحمد الخالدي، ناصر الفهد، يوسف العييري، عبدالعزيز المقرن، أبوجندل الزيدي، وكثيرون غيرهم.

الفرع الثالث: نشأ في فلسطين، ويتكون من الثلاثي الفلسطيني: عبدالله عزام، عمر أبو عمر أبو قتادة، وقبلهم جميعًا عصام البرقاوي المعروف بـ «أبو محمد المقدسي». والأخير هو الأب الروحي لعملية الانصهار بين التوحيد الوهابي وعنف الجهاد التكفيري وعزل الكفار، وهم ملهمون للجيل الجديد من رجال الدين الجهاديين الذين تخرجوا من الجامعات الإسلامية السعودية، ومن بينهم بصورة رئيسة أردنيون من أصل فلسطيني مثل أبو عمر سياف، أو أبو أنس الشامي، الذي كان له دور كبير في كل من الشيشان والعراق[1].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٩.

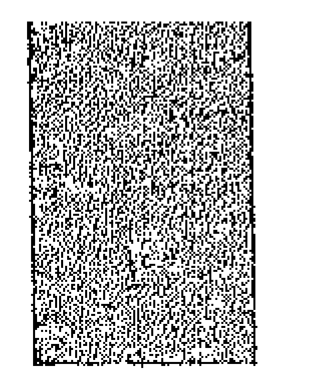
محمد علي أدراوي Mohamed-Ali Adraoui تحدث – بدوره- في الجزء الخامس من هذا الكتاب عن موضوع السلفية في فرنسا. واستهل بحثه، الذي كان بعنوان: (السلفية في فرنسا: الأيديولوجية، والممارسات والتناقضات Salafism in France Ideology, Practices and Contradictions)، بالحديث عن الإسلام في فرنسا وكيف أن الإسلام كان من الموضوعات المهيمنة على الحوار السياسي الفرنسي حتى قبل الهجوم على مركز التجارة العالمي عام ٢٠٠١م.

يقول محمد علي أدراوي:

(بينما كان المثقفون، وأصحاب الرأي، والسياسيون في حقبة الثمانينيات يتحدثون عن الجنسية الكاملة، الكفاح من أجل المساواة في سوق العمل، أو في قطاع الإسكان، واندماج المهاجرين وأطفالهم، إلا أن الأبعاد الدينية في السنوات القليلة الماضية قد حلّت، في أوجه كثيرة، محل المعايير الإثنية، أو الاجتماعية في الحوار العام)[١].

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦٤-٣٦٥.

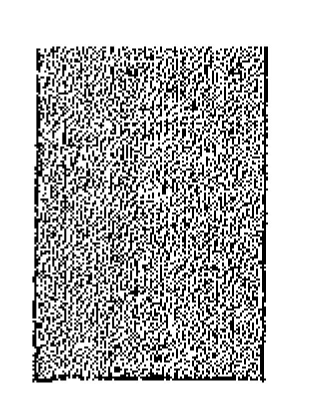


الإشارة إلى بحث هذا الكاتب تعدّ أمراً مهماً عند الحديث عن الصورة المشوهة للسلفية في الكتابات الغربية. فالكاتب مسلم فرنسي، عاش في فرنسا وتشرب ثقافتها، وتخرج في جامعة السوربون الفرنسية متخصصاً في الاقتصاد والأعمال والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، وعمل لمدة عامين في رئاسة الجمهورية الفرنسية بقصر الإليزيه.

وبالأسلوب نفسه الذي سار عليه أقرانه من الكتاب الغربيين في كيل الاتهامات للملكة العربية السعودية، ووصفها بالعمل على تصدير السلفية المتشددة مستغلة أموالها الطائلة، سار محمد علي أدواري.

يؤكد ذلك قوله:

(إن أحد الأسباب في أن تصبح السلفية أحد الأشكال الرئيسة لإعادة الأسلمة بين الشباب الفرنسي المسلم وكذلك بين الشباب الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام، هو أن السلفية قد تم استيرادها من بلاد الحرمين الشريفين. وتكمن قوة السلفيين في زعمهم أنهم ببساطة مسلمون، يتصرفون وفقاً لعقيدتهم الدينية الآتية من منطقة يمارس فيها المسلمون الإسلام في شكله السليم،



منطقة الخليج وخصوصاً المملكة العربية السعودية، الدولة التي أسست أيديولوجيتها الرسمية على تعاليم واحد من أهم شيوخ السلفية، محمد بن عبدالوهاب «١٧٠٣- ١٧٩٢م»، مؤسس الوهابية)[1].

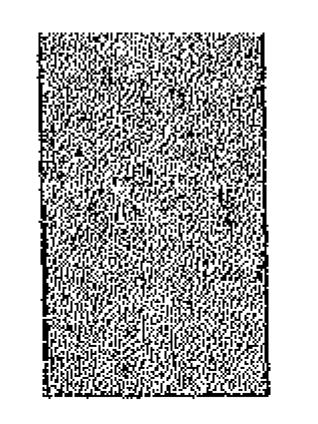
ثم يقول:

(إن السعودية تمثل لهؤلاء الشباب السلفيين الفرنسيين النظام السياسي والديني الأكمل، وأن هؤلاء الشباب يبدون إعجاباً ويتحمسون للهجرة الجسدية والعقلية من أرض غير المؤمنين إلى أرض المسلمين الحقيقيين حيث إن مصدر العقد الاجتماعي الوحيد هو الإسلام).

وفي سياق حديثه عن تشوق الشباب الفرنسيين المسلمين الهجرة إلى السعودية لاكتساب فوائد دينية واقتصادية، يورد قصة شاب هاجر إلى إحدى دول الخليج وأصبح ثرياً. وهي قصة يشوبها الضعف والتلفيق من كل جوانبها ولا تقف شاهداً أو برهاناً على ما يريد الكاتب أن يثيره أو يقنع به القارئ.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦٨-٣٦٩.



يقول الكاتب:

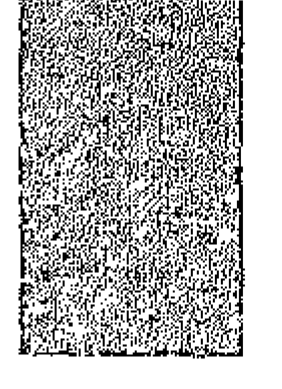
(وأفضل مثال على ما ذهبت إليه قصة شاب سلفي يبلغ من العمر ٢٨ عاماً كنت قد أجريت مقابلة معه، والذي اعتنق السلفية كعقيدة قبل حوالي ثمان سنوات. وبينما كان في الماضي يتم التعاقد معه على أعمال مؤقتة، وتتطلب مهارات متدنية، وذات رواتب ضعيفة، مثل العمل في مراكز الاتصالات، إلا أنه في يوم من الأيام قرر الهجرة إلى دبي، حيث إن بعض «إخوانه السلفيين» بدأوا في شراء السلع ذات الجودة العالية مثل أجهزة الهاتف المتنقل، وأجهزة الكمبيوتر الجيبي وبيعها. وبإعادة بيع هذه الأجهزة في فرنسا وسط الأصدقاء والجيران، بدأ هذا الشاب في اكتساب دخل كبير، وقام باستثماره في فتح مطعم في دولة الإمارات العربية المتحدة. واليوم هو رجل غني يقول إن ثراءه المالي هو هدية من الله الذي كافأه مادياً لقراره الانضمام للسلفية والإيمان بالله والسير على المنهج الإسلامي الصحيح)[1].

(١) المرجع السابق ص ٣٧٠.

و لا يحتاج المرء لكبير عناء ليلاحظ ضعف الاستشهاد وعدم مناسبته أصلاً للموضوع الذي يناقشه الكاتب. والقصة، حتى وإن كانت حقيقية، فهي لا تمثل برهاناً أو شاهداً على صحة ما يدعيه، ويمكن أن تحدث لأي إنسان بغض النظر عن معتقده الديني. فهناك مئات الآلاف من غير المسلمين الذين هاجروا لدول الخليج ويعملون فيها، ومنهم من أصبح ثرياً في بلده، ولم يكن ذلك لأنهم سلفيون. بل إن هذه القصة هي دليل على محاولة الكاتب إقحام السلفية في سياق النقد غير الموضوعي المتعمد لها. كما أنه – من جهة أخرى استخفاف بعقل القارئ الغربي.

وهابية (البترودولار)

بسبب الفهم الخطأ في الكتابات الغربية لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية التي ظهرت في الجزيرة العربية فقد أصبح التبشير بتعاليم هذه الدعوة تهمة يلصقها الكتاب الغربيون بالمملكة العربية السعودية، حكومة ومؤسسات. وقد حاولت تلك الكتابات أن تربط بين المال السعودي والقدرة الاقتصادية للمملكة وما أسموه بـ



(تصدير الوهابية في العالم).

لنتأمل النص التالي:

(مع ما أصبحت عليه الأسرة المالكة في السعودية من خادمة للحرمين - أقدس المقدسات الإسلامية - في عام ١٩٢٤ وكمملكة مستقلة منذ عام ١٩٣٢؛ فقد اتضح أيضا أن أغنى دولة نفطية في العالم قد أخذت على عاتقها تصدير نسختها من الإسلام المتشدد تحت اسم الوهابية)[١].

هنا نجد النص قد جمع بين الفهم الخطأ للوهابية بوصفها نسخة متشددة من الإسلام وترويج الحكومة السعودية لها. والباحث الغربي - فضلاً عن القارئ العادي - عندما يقرأ مثل هذا النص فإنه يعتبره حقيقة يبني عليها فهمه للوهابية.

ويتوسع كاتب آخر في شرح كيفية الدعم السعودي لنشر الوهابية في العالم بقوله:

(وقد تبرعت السعودية عبر مواطنيها العاديين والمسؤولين الحكوميين ورجال الدين بعشرات

(1) Upadhyay, R., " SAUDI EXPORT OF WAHHABISM to India" , South Asia Analysis Group, paper no. 3725, 19-March-2010.

الملايين من الدولارات لإنشاء المدارس الدينية وهابية المنحى وكذلك الصحف ومنظمات التوعية... وزعمت مصادر مختلفة أن المملكة العربية السعودية هي أحد المصادر التي دعمت ومولت انتشار التطرف الإسلامي، أو الوهابية، على الصعيد العالمي)[1].

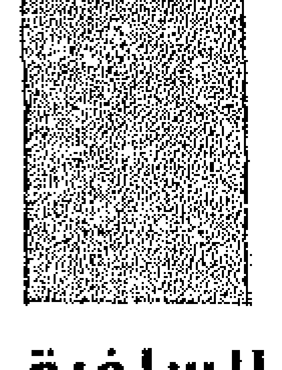
أما صحيفة ذا صن داي تايمز The Sun Day Times فقد نشرت يوم ٢٨ مارس ٢٠١٠م مقالاً بعنوان: (السعوديون يمولون مسلمي البلقان لنشر كراهية الغرب Saudis fund Balkan Muslims spreading hate of the West).

يبدأ المقال بالعبارة التالية:

(السعودية تقوم بإرسال ملايين الجنيهات للجماعات الإسلامية في البلقان، ويعضها يقوم بنشر الكراهية للغرب وتجنيد المقاتلين للجهاد في أفغانستان)[2].

ومن دون أي مقدمات أو أدلة تذهب الصحيفة إلى كيل

(1) «Saudi Kingdom Continues to Export Radical Wahhabism" Kouri,J., Dec 2008. Mon 15, In:http://www.islamdaily.org/en/wahabism/6968.saudi-kingdom-continues-to-export-radical-wahhabis.htm.
(2)http://www.timesonline.co.uk/tol/news/world/middle_east/article7078771.ece.



الاتهام للمملكة وأنها تصرف أموالها في سبيل نشر كراهية الغرب، وتجنيد المقاتلين للقتال في أفغانستان.

وتضيف الصحيفة:

(ووفقاً للمسؤولين في مقدونيا، فإن الأصوليين الإسلاميين يهددون بتقويض الاستقرار في البلقان. والمجموعات الوهابية والسلفية المتشددة، التي موّلتها المؤسسات السعودية تتصارع مع المجموعات المسلمة المحلية التقليدية المحافظة)(١).

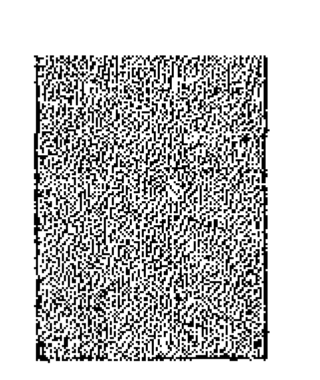
وتورد الصحيفة كذلك ما نصه:

(قام الأصوليون بتمويل بناء عدد كبير من المساجد والمراكز الاجتماعية، إضافة إلى صرف ٢٢٥ جنيه إسترليني في الشهر لأتباعها، ولا يُتوقع منهم إطلاق لحاهم فقط بل عليهم أن يقوموا أيضاً بحث زوجاتهم على ارتداء النقاب، وهي عادة غير معروفة في التقاليد الإسلامية الليبرالية في منطقة البلقان)(٢).

---

(١) المصدر السابق.

(2)http://www.timesonline.co.uk/tol/news/world/middle_east/article7078771.ece.



ويشير الكاتب في إحدى فقرات المقال إلى أن الغرب قد بذل جهوداً سياسية ومالية كبيرة لمساعدة بناء الديمقراطية في البوسنة بعد الحرب الأهلية في تسعينيات القرن الماضي، وكان للمؤسسات السعودية تأثير كبير، إذ قامت بدفع ٤٥٠ مليون جنيه إسترليني لبناء أكثر من ١٥٠ مسجداً ومركزاً إسلامياً. [١] وكأن منطقة البلقان حكر على الثقافة الغربية فقط على الرغم من أن نسبة كبيرة من شعبها مسلمون وبحاجة إلى مساجد تحفظ لهم هويتهم التي حاربوا الصرب من أجل الحفاظ عليها.

---

(١) المصدر السابق.

المبحث الثاني
أسباب الصورة المشوهة للسلفية السعودية في الكتابات الغربية

أولاً: الافتقار للمعلومة في الكتابات الغربية

ثانياً: الجهل بواقع الآخر

ثالثاً: التعميم المطلق

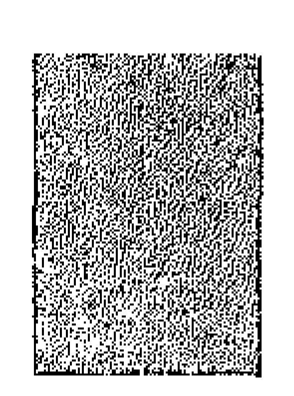
رابعاً: مجافاة الحقيقة

خامساً: المستغربون من المسلمين

سادساً: المستغربون السعوديون

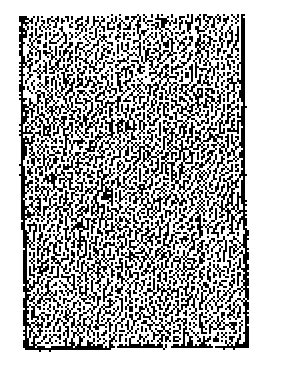
سابعاً: تشويه صورة الإسلام والسلفية

ثامناً: استهداف السعودية



لكل ظاهرة أسباب وجذور نظرية شكلت الصورة الذهنية عنها وترسخت في العقول، بغض النظر إن كانت الأسباب حقيقية أو مفتعلة. وقضية الوهابية السعودية في الكتابات الغربية لها أسبابها المفتعلة التي أسهمت في تشكيل صورة ذهنية غير حقيقية في مخيلة الكتاب الغربيين، ومن ثم في العقل الجمعي لدى الرأي العام الغربي.

فيما يلي عرض لأسباب الصورة المشوهة للسلفية السعودية التي أدت إلى تصوير غير موضوعي للقضية، وهي - كما سنرى - أسباب بعضها مرتبط بعوامل شخصية لبعض الكتاب الغربيين، أو أيديولوجية ذات أهداف محددة كان الكتاب الغربيون أدواتاً لتحقيقها، بعلم وإسهام منهم للمشاركة في تحقيق تلك الأهداف الأيديولوجية، أو بجهل قصرت عنه أفهامهم.



أولاً: الافتقار للمعلومة في الكتابات الغربية

على الرغم مما رسخ في أذهان الكثير من الناس من أن الكتابات الغربية تتسم بالعمق، والشمولية والدقة في المصادر، إلا أن كثيراً من الكتابات الغربية في الموضوعات المتعلقة بالإسلام والمسلمين، بصورة عامة، إما أن تكون مغرضة، أو تستقي معلوماتها من مصادر ثانوية تفتقر للمصداقية وتحري الحقيقة.

فالكتابات الغربية التي تناولت السلفية والفكر السلفي، وبخاصة في المملكة العربية السعودية، تتفاوت من حيث تعاملها مع المصطلح ومدلولاته، وتتفاوت كذلك من حيث الطرح. فمنها ما تنقصه المعلومة الموثقة ويحاول عن قصد أحياناً وعن عمد أحياناً أخرى تشويه الحقائق، وخلط الوقائع، وتمرير الأهداف الخفية، ومنها ما يحاول جاهداً تتبع المناهج الأكاديمية والبحثية الصارمة التي تنأى بنفسها عن الأخذ بأي معلومة أو فكرة دون ردها إلى مصادرها الموثوقة، وإن كانت الكتابات الأخيرة قليلة، و لا تحظى بالنشر والانتشار والتداول مثل الأولى.



ومن مظاهر هذه الإشكالية في الكتابات الغربية عن السلفية والوهابية ما يمكن حصره في النقاط التالية:

١. افتقار هذا النوع من الكتابات الغربية للمعلومة الصحيحة الموثقة عن السلفية والوهابية.

٢. الكثير من الكتابات الغربية التي تتناول الإسلام بصورة عامة والسلفية والوهابية، بصورة خاصة، تعتمد على كتابات سابقة، أو أقوال، أو عموميات ظنية لا ترقى للتصديق وينقصها التوثيق.

٣. استخدام مفردات مثل السلفية، والسلفيين، والوهابية، والجهاد، كمترادفات للعنف، والتطرف، والإرهاب وربطها بتنظيم القاعدة. نتج عن هذا الخلط أن أصبح الالتزام بالإسلام وتعاليمه في الذهن الغربي مرادفاً لكل ما هو مقرون بالإرهاب.

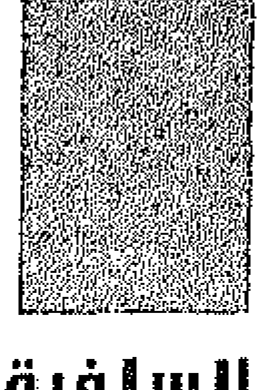
٤. تتعامل بعض الدوائر السياسية والبحثية في الغرب مع السلفية من منظور أنها إيديولوجيا سياسية خطيرة تهدد العالم والثقافات، باعتبارها ترفض الآخر وتجنح إلى التطرف والتشدد، دون محاولة تمحيص الجماعات والأفراد الذين يؤججون هذا التطرف

والعنف، باعتبارهم أقلية إذا ما قيس عددهم بعدد المسلمين الذين يرفضون هذا السلوك.

٥. تصاعد حدة الهجوم والنقد ضد السلفيين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

٦. توجيه سهام النقد السلبي - وأحياناً القاسي - على الإسلام والسلفية بصورة عامة، وبعض الجماعات والدول الإسلامية بصورة خاصة عقب أي هجمات إرهابية تحدث في الغرب، حتى ارتبطت الأخبار المتعلقة بالعنف والقتل والترويع في الإعلام الغربي بالإسلام والمسلمين. فوسائل الإعلام لا تتردد في الإشارة بأصابع الاتهام للمسلمين بعد حدوث أي من هذه الممارسات، حتى بعد أن يثبت أن الكثير من هذه الاتهامات كانت متسرعة وغير صحيحة.

٧. محاولة الغرب، وبعض المسلمين، لاسيما أولئك الذين اتخذوا من الغرب وطناً لهم، الترويج «للإسلام الليبرالي المعتدل» والعمل على أن يكون هو البديل لما يسمونه «الإسلام المتشدد» الذي ينتقد الأوضاع الراهنة.



٨. التحامل على المملكة العربية السعودية وزجّها في كل حدث لا يروق للجماعات المتنفذة في الغرب، وتوجيه أصابع الاتهام للحكومة السعودية والشعب السعودي ومؤسساته بالضلوع في دعم الجماعات المتشددة.

إن الكثير من الغربيين يستقون معلوماتهم عن الإسلام من الصحف ووسائل الإعلام الأخرى. وهي مصادر ليست موثوقة تماماً للركون إليها عندما يكون الأمر متعلقاً بفهم الإسلام من جوانبه المختلفة. وهذا الرأي يشاطرنا فيه بعض الكتاب الأمريكيين أنفسهم.

فعلى سبيل المثال، أشار فيليب بينيت Philip Bennett، مدير تحرير صحيفة واشنطن بوست Washington Post، في حديثه يوم ٣ مارس ٢٠٠٨م في مركز دراسات الديمقراطية بجامعة كاليفورنيا – ارفين California-Irvine›s Center for the Study of Democracy، ونقلته عنه صحيفة ديلي بايلوت Daily Pilot، إلى أن الأمريكيين يفتقرون للفهم الصحيح للإسلام، وأن وسائل الإعلام المعاصرة تقع في دائرة اللوم في هذه الناحية، ولذا عليها أن تقوم بتصحيح الوضع من خلال توظيف



المزيد من الصحفيين المسلمين، وتوظيف مترجمين متمكنين[1]. واتهم مدير تحرير صحيفة واشنطن بوست صراحة وسائل الإعلام بالإسهام في سوء الفهم عن الإسلام والمسلمين.

ويظهر جليّاً من خلال الإطلاع على بعض الكتابات الغربية التي تناولت السلفية أن هذه الكتابات تستخدم مصطلح «السلفية» كمرادف «للوهابية»، وهي كتابات تفتقر للفهم الحقيقي لمعنى «السلفية» و «الوهابية» ومدلولهما إلا بما يخدم قيم الغرب وقضاياه.

وهو ما يؤكده علي عبدالعال في بحثه: (**السلفية والغرب.. واقع العلاقة ومآلات المستقبل**)، بقوله:

(إن الغرب لا يفتقر للمعرفة الكافية عن السلفية والتصنيفات الحاصلة في المجتمع الإسلامي فحسب، بل إنه يتعامل مع الجماعات والتيارات المنضوية تحت هذه المسميات على ضوء مواقفها من الغرب وقضاياه).

ويقول أيضاً:

(1)http://articles.dailypilot.com/200804-03-/features/dpt-bennett03042008_1_islam-muslim-readers-massive-protests

(من المهم ونحن نتحدث عن السلفية بالتحديد الإشارة إلى أن الوعي الغربي ليست لديه معرفة كافية بالتصنيفات الحاصلة في العالم الإسلامي، وهو لا يتفهم حقيقتها ولا مدلولها في أكثر الأحيان. فالغربيون عامة لا يفرقون بين الصوفية، وما يطلقون عليه «الإسلام المعتدل»، و«السلفية»، إلا بمقدار ما يعرفون من مواقفها تجاه العالم الغربي وقيمه وقضاياه)[1].

ثانياً: الجهل بواقع الآخر

جهلُ كثير من الكتاب الغربيين بواقع المنطقة العربية، وبالتالي جهلهم بقيمها ومعتقداتها هو مما اعترف به الكُتّاب الغربيون أنفسهم.

تقول الصحفية باربرا فيرجيسون Barbara Ferguson وهي تتحدث عن جهل زملائها المراسلين الصحفيين الأمريكيين بواقع المنطقة وتعاملهم مع هذا الواقع بناء على صورة نمطية جاهزة:

(من وجهة نظر شخصية وتجربة صحفية أرى أن

(1) http://www.felixnews.com/news-4123.html.



العديد من المراسلين الصحفيين الأمريكيين يجهلون تماماً واقع منطقة الشرق الأوسط. فعندما عملت صحفية مرافقة لمشاة البحرية الأمريكية أثناء عملية غزو العراق، كنت أتعجب من أن معظم زملائي، وبينما كانوا في انتظار إجراءات إلحاقهم بالوحدات العسكرية، كانوا يرفضون أو يعزفون عن معرفة أحوال المواطنين في البلد الذي سيقومون بتغطية الحرب فيه)[1].

وهناك إشكالية أخرى تزيد من جهل الكتاب الغربيين بالسلفية في السعودية، وهي أن هؤلاء المراسلين الصحفيين، وبعض المسؤولين السياسيين والناشطين في مجال حقوق الإنسان، وبفعل تأثير الصورة النمطية المشوهة عن السلفية في مصادرهم، لا يستطيعون طرح ما يرونه من صورة إيجابية عن الإسلام في السعودية بصورة واضحة. ولذلك لما سُئل رئيس مجلس الشيوخ الكندي الدكتور نويل كنسيلا Noel Kinsella عن الحملة الإعلامية

(١) باربرا فيرجيسون. «لماذا يحمل الغرب صورة مشوّهة عن المرأة السعودية»، ضمن بحوث نشرت في كتاب: (السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية)، دار غيناء للنشر، الرياض، ٢٠٠٨م، ص ١٦٥.



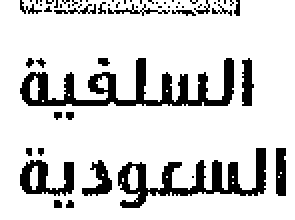
ضد السعودية في بعض الصحف الغربية على الرغم من أن كثيراً من الإعلاميين الغربيين لم يزر المملكة ويتعرف على الحقيقة عن قرب ومن مصادر مباشرة، قال:

(**إن هذا أمر غير منطقي، لأنه لا ينبغي لمن لم يرَ الشيء بنفسه أن يتحدث عنه أو ينتقده، وعلى هؤلاء الصحفيين الغربيين أن يزوروا المملكة، ليروا ويسمعوا ويقابلوا المسؤولين وعامة الناس، ثم يكتبوا عنها. وهي عموماً حملات مسمومة، ويقف وراءها من لهم أغراض مشبوهة، لا تخدم العلاقات بين بلادهم والسعودية، ولا العلاقات بين الشعوب**)[1].

ثالثاً: التعميم المطلق

من الإنصاف القول إن الممارسات التي صدرت من فئة قليلة من المسلمين أسهمت بشكل كبير في تعزيز الصورة المشوّهة عن الإسلام والمسلمين، وبالتالي عن مفهوم السلفية بوصفها دعوة للعودة بالإسلام إلى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الصالح

(١) مقابلة مع صحيفة الوطن السعودية بتاريخ ٤ فبراير ٢٠١١م.



رضوان الله عليهم.

ينبغي التأكيد في هذا السياق على أن مثل هذه الممارسات يرفضها الإسلام، وقد أدانها المسلمون أنفسهم، بل إن كثيراً من أعمال العنف ونتائج التطرف استهدفت المسلمين أنفسهم، وألحقت أضراراً اقتصادية واجتماعية فادحة في عدة دول إسلامية.

فالمسلم الذي يهاجم الأبرياء، ويمارس العنف باسم الإسلام يسيء إساءة بالغة للإسلام، ويسهم إسهاماً كبيراً في تعزيز الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين. والمسلم الذي يروّج لمقولات تتحدث عن أن الإسلام يقوم على تصفية الآخر المختلف عنه، واستخدام وسائل العنف كافة من أجل تحقيق ذلك، إنما يفسد في الأرض ويعزز من الصورة السلبية التي تحملها الكثير من الشعوب في الغرب عن الإسلام والمسلمين. لكن الكثير من الكتابات الغربية لا تذكر هذا الموقف من المسلمين، بل تسعى إلى تعميم تلك الظاهرة السيئة على جميع المسلمين، وبخاصة على شعب المملكة العربية السعودية.

رابعاً: مجافاة الحقيقة

الباحث في اتجاهات كثير من الكتابات الغربية عن السعودية والسعوديين التي تنشرها وسائل الإعلام أو مراكز الدراسات والبحوث يكاد يصل إلى نتيجة حتمية تتعلق بتناولهم لقضايا الدين والمجتمع على وجه الخصوص.

فكثير من هذه الكتابات لا تخلو من حالين:

١. إما أن تكون مبنية في الأساس على معلومات خطأ ومغلوطة.

٢. وإما أن تكون مجافية للصدق.

حتى المعلومات المبنية على تصورات خطأ أو مغلوطة كان أساسها مجافاة الصدق والافتراء المقصود. ذلك أن العملية تبدأ من بعض المراسلين الإعلاميين الغربيين الذين يفدون إلى المملكة لإعداد تقارير عن موضوعات معينة، ثم يعودون إلى بلادهم فيكتبون ما يخالف واقع ما رأوه وشاهدوه، ويقولون غير الحقيقة عن من قابلوه من المسؤولين أو العلماء أو المثقفين أو عامة المواطنين.

يفعلون ذلك عن عمد وسبق إرادة، لهدفين رئيسيين:



١. إما بهدف الإثارة، من خلال عناوين تستفز القارئ الغربي أو تجذب انتباهه للقراءة والمتابعة لما ينشر، أو من خلال رسائل تتضمن معلومات خطأ ومغلوطة.

٢. وإما لِتوافِق سياسات المؤسسات الإعلامية التي ينتمون إليها.

ثلاثة أمثلة في سياقات زمنية مختلفة يمكن ذكرها لتقف شاهداً على ما سبق ذكره، ومثلها كثير:

١. في حرب تحرير الكويت ١٩٩٠- ١٩٩١م، قدمت إلى المملكة الكاتبة الصحفية كريستيان أمبور، مراسلة صحيفة كريستيان ساينس مونيتور Science Monitor Christian، وأعدت تقريراً صحفياً وتلفزيونياً عن الحياة الاجتماعية في المملكة. وبعد عودتها إلى الولايات المتحدة استضافتها قناة ABC التليفزيونية وتحدثت معها عن (العادات البالية والمتخلفة للمجتمع السعودي) التي لا توافق الثقافة الأمريكية، وبخاصة في مسائل الحجاب، والاختلاط، والتعليم. وقالت الصحفية: (**إن هذا المجتمع لا يزال يعيش في القرن السادس عشر الميلادي**).



٢. بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تعرضت المملكة (حكومة وشعباً وثقافة ومؤسسات) إلى عاصفة إعلامية غربية أُريد منها خلخلة البناء الديني والاجتماعي في المجتمع السعودي. وحملت كثير من المضامين الإعلامية عن المملكة إساءات مقصودة، وتشويهاً متعمداً لدينها وثقافتها. بيد أن من الإعلاميين الغربيين من بالغ في النقد السافر بطريقة أحرجت المؤسسات الإعلامية الغربية نفسها. من هؤلاء ستيفن شوارتز Stephen Schwartz، الذي عرف بنقده الدائم لما يسمى (الأصولية الإسلامية)، و(الوهابية السنية) كما يسميها، وله فيها كتابات كثيرة، منها (هزيمة الوهابية)، (مشكلة الوهابية)، وغيرها. وبسبب نقده (غير المهني والبعيد عن الموضوعية) للمملكة العربية السعودية فُصل من إذاعة (صوت أمريكا).

البعد عن معايير المهنية والموضوعية هو السبب في فصله كما تقول القناة، لكن ما وراء ذلك هو مجافاة الصدق والغلو في النقد الجارح الذي عرف به ستيفن



شوارتز عندما يكتب عن موضوعات أو قضايا سعودية.

٣. يأتي كثير من المراسلين الغربيين إلى المملكة العربية السعودية في زيارات تستهدف إعداد تقارير عن المجتمع السعودي وقضاياه، يلتقون بمسؤولين وعلماء ومثقفين، يحاورنهم ويتحدثون معهم وإليهم، ثم يعودون فيحرّفون أقوال من التقوا بهم وتحدثوا معهم. آخر هؤلاء هو مراسل صحيفة الجارديان البريطانية جاسون بورك Jason Burke الذي كتب سلسلة تقارير عن المملكة[(١)] تجنى فيها على عدد من العلماء، متهماً بعضهم بأنه يتحدى سياسة الملك عبدالله الإصلاحية، ويتخذ من مسجده الصغير مكاناً لمناوءة خطوات الإصلاح، ويتهم آخر بإعجابه بحياة الغربيين إلى حد رضاه عن طريقتهم في شرب الخمر !!

والتناقض بين ما يكتبه وينشره أولئك الكتاب الغربيون

(1) Jason Burke. Saudi Arabia's clerics challenge King Abdullah's reform agenda. Guardian , UK , Friday 1 July 2011.

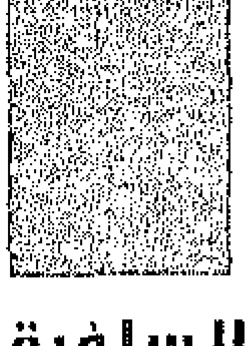
بعد انتهاء زيارتهم للسعودية وما رأوه في الواقع أمر قد اشتهر بينهم، ليس الكتاب والمثقفون فقط بل حتى السياسيين والمسؤولين. ففي سؤال لرئيس مجلس الشيوخ الكندي عن هذه القضية، وهي أن كبار المسؤولين الغربيين ومنهم الكنديون الذين يزورون المملكة ويطّلعون على حقيقة الأوضاع على الأرض، لا يوضحون هذه الحقائق لوسائل الإعلام في دولهم، أجاب رئيس مجلس الشيوخ الكندي أن بعض وسائل الإعلام لا ترغب في سماع أخبار جيدة، وقال:

(أنا شخصياً سأقدم عقب عودتي إلى كندا تقريراً إيجابياً جداً للبرلمان، أسرد من خلاله الحقائق التي لمسناها خلال زيارتنا للمملكة على مدى ثلاثة أيام، سواء في مجال الشراكة التجارية والاقتصادية بين بلدينا، أو على مستوى التعاون البرلماني، أو على مستوى التعامل بين الكنديين والسعوديين كأفراد)[1].

ما ذهب إليه رئيس مجلس الشيوخ الكندي وغيره

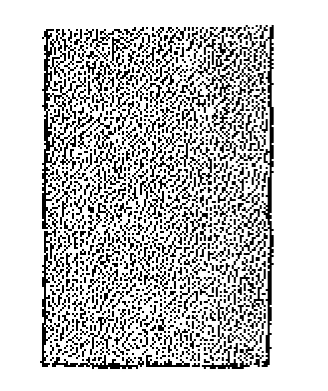
---

(١) المرجع السابق.



أصبح أمراً مكرراً في السنوات القليلة الماضية. ذلك أن بعض الصحفيين والمثقفين الغربيين الذين يزورون المملكة يدلون بتصريحات عن الإسلام وينشرون كتابات عن المملكة تختلف عن ما يطرحونه في بلدانهم. وفي هذا مجافاة للحقيقة متعمدة باتت تمثّل إحدى الإشكاليات الرئيسة في توضيح حقيقة الموقف من الإسلام والسلفية. ففي الوقت الذي نتوقع أن السعوديين قد نجحوا في توضيح الصورة المغلوطة عن السلفية وتأثيرها الإيجابي في المجتمع السعودي والمملكة لهذه الشخصيات عندما يكونون فيها، نجد أن الأمر يختلف تماماً عندما تعود هذه الشخصيات إلى بلدانها وتعود إلى اجترار الصور المشوهة التي ترسخت في مخيلتها، أو هم أرادوا لها أن تكون كذلك.

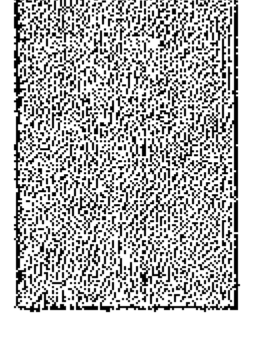
هذه نماذج من مجافاة بعض المراسلين الغربيين للحقيقة، والشواهد في هذا المعنى كثيرة تتكامل مع بعضها في تصوير المجتمع السعودي على غير حقيقته.



خامساً: المستغربون من المسلمين

ليست وسائل الإعلام الغربية ومراكز البحوث والدراسات وحدها هي التي تصف السلفية والسلفيين بالعنف والإرهاب والتطرف، أو هي وحدها التي تُحرّض الرأي العام ودوائر اتخاذ القرار الغربي على اتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة هذا «التطرف»، و«العنف»، كما يقولون. فهناك من بين المسلمين من نذروا أنفسهم للقيام بهذا الدور، والعمل جنباً إلى جنب مع المؤسسات الغربية لمواجهة الإسلام والمسلمين، بل ويزعم بعضهم أن لا فائدة من الحوار مع المسلمين، إذ إن هذه الحوارات، على حد زعمهم، «غير مثمرة»، وأنه ينبغي أن يكون الحوار مع المسلمين المعتدلين الذين يعارضون «الأحكام الوحشية للشريعة.»

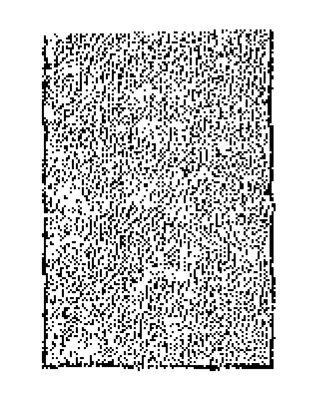
وشواهد هذا المعنى أيضاً كثيرة تضيق عن الحصر، نذكر منها ما كتبه مسلم غربي هو توفيق حامد في مقال له نشرته صحيفة وول ستريت جورنال The Wall Street Journal تحت عنوان (المشكلة مع الإسلام The Trouble with Islam)، كال فيه الكاتب الاتهامات للمسلمين، وحرض



المؤسسات الغربية على مواجهة ما سماه «الإسلام السلفي».
بل وذهب إلى أكثر من ذلك بدعوته إلى عدم الحوار بين أتباع الديانات الأخرى والمسلمين على وجه الخصوص، بزعمه أن لا جدوى من الحوار، وهو موقف متطرف لا يقول به حتى غلاة المناهضين للإسلام في الغرب[١].

ومثله الدكتور زهدي جاسر، رئيس المنتدى الإسلامي الأمريكي للديمقراطية (AIFD)، الطبيب والضابط السابق في البحرية الأمريكية، إذ نشر مقالاً بعنوان (هزيمة السلفية والوهابية هو الطريق الصحيح Defeating Salafism and Wahhabism the Right Way is)[٢]. وعلى الرغم من أن المقال يركز على قضية حظر نشاط السلفية في طاجيكستان في الوقت الذي نُشر فيه المقال، إلا أن الكاتب هاجم ما سماه الأيديولوجيات المنغلقة المتمثلة في السلفية والوهابية، ودعا إلى حظر نشاط هذه الجماعات بل وتصفيتها من الوجود.

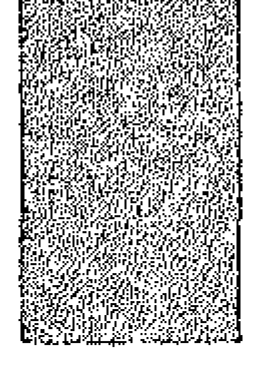
(1) The Wall Street Journal, April 3, 2007.
(2)http://www.mzuhdijasser.com/3332/defeating-salafism-and-wahhabism-the-right-way.



ولا شك أن هذا التطابق في الطرح بين بعض الكتاب المسلمين ووسائل الإعلام ومراكز الدراسات في الغرب يرسل إشارات سالبة، ويعزز كثيراً من الصورة النمطية المشوهة عن السلفية، وبخاصة في المملكة العربية السعودية.

سادساً: المستغربون السعوديون

في كل مجتمع هناك فئام من الكتاب والمثقفين ورجال الإعلام ممن يتبنى أيديولوجيات مخالفة للاتجاه العام ولثقافة المجتمع الذي ينتمون إليه. والسعوديون ليسوا بدعاً من الأمم. فمن بين كتابهم ومثقفيهم ورجال إعلامهم فئة قليلة تشربت الثقافة الغربية، وظنت أن النظام الفلسفي والسياسي والاجتماعي الغربي هو المناسب لكل أمة تريد النهوض الحضاري واللحاق بركب التقدم العلمي. هذه الفئة من المواطنين السعوديين كانت محل تقدير الكتابات الغربية عن السلفية والوهابية في المملكة، وكانت تستند إليهم كلما أرادت أن تعزز رأيها حول القضية التي تثيرها هذه الكتابات، بوصفها شواهد صدق على ما تدعيه.

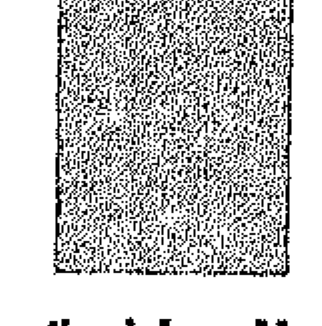


يتأكد ذلك عندما تثير الكتابات الغربية قضايا ذات جوانب دينية، تتعلق - مثلاً- بالحديث عن هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، أو المناهج التعليمية، أو المرأة، أو القضاء، أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الشرطة الدينية)، أو غيرها، فيعمد الكتاب الغربيون إلى توثيق آرائهم في هذه القضايا وعلاقتها بالوهابية في السعودية عن طريق إيراد شواهد لمواطنين سعوديين من المثقفين أو الإعلاميين أو غيرهم لتكتسب آراؤهم مصداقية لدى القارئ.

وللكتاب الغربيين في ذلك طرق متعددة، منها:

١- الاتصال المباشر، بحيث يصرح أحدهم برأيه تجاه القضية التي يطرحها الكاتب بطريقة تتوافق مع الهدف من القضية موضوع النقاش.

٢- الدخول إلى المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت وترجمة ما فيها من رأي يتوافق مع ما تطرحه المصادر الغربية، مثل الشبكة الليبرالية السعودية، والمدونات الشخصية وغيرها، ومن ثم الاقتباس منها وتضمينها في النص الذي تنشره تلك المصادر.

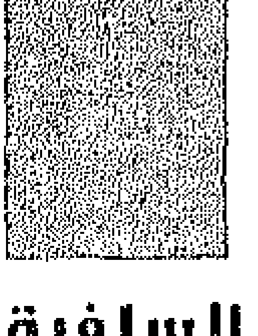


٣- زيارة المملكة العربية السعودية ومقابلة أشخاص معينين بطريقة انتقائية تخدم توجهات المصادر الغربية ولا تعبر عن الرأي العام في السعودية تجاه القضية المطروحة للنقاش.

وليس المراد هنا ذكر أسماء بعينها، فهذه حقيقة يعرفها المتابعون لما ينشر في المصادر الغربية عن المملكة العربية السعودية، لكن المقصود هو التأكيد على أن من السعوديين من كان - عالماً أو جاهلاً - سبباً في تشويه صورة السلفية والوهابية في السعودية بمشاركته الرأي في الكتابات التي تزخر بها المصادر الغربية عن هذا الموضوع.

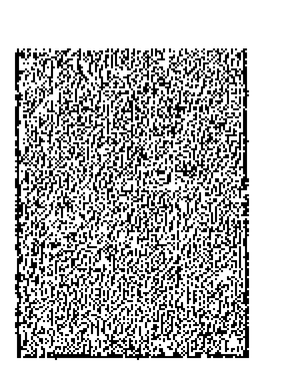
سابعاً: تشويه صورة الإسلام والسلفية

تزايد الاهتمام بالبحوث والكتابات المتعلقة بالسلفية، وتوجهاتها، وكيفية التعامل معها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، في سياق ما بات يُعرف بـ (الخوف من الإسلام Islamphobiai)، الذي نال اهتمام الكثير من مراكز الدراسات والبحوث وصانعي القرار والسياسيين والرأي العام في الغرب. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال



الاطلاع على الخطاب الغربي الذي تناول الإسلام، وخاض بالبحث فيه، ووجه له النقد بجرأة لا مثيل لها خلال العقد المنصرم.

يؤكد مارتجن دي كوننج Martijin de Konning، وهو يناقش، في بحث له، حياة اثنتين من السلفيات في هولندا، على أن المسلمين وغير المسلمين في هولندا قد أدركوا منذ ١١ سبتمبر أن نقد الإسلام والمسلمين لم يعد من المحرمات التي لا يمكن الخوض فيها، وفي بعض الحالات يكون هذا النقد مقبولاً إذا ما كان بأقوى الطرق الممكنة، أي أن نقد الإسلام يُعبر عنه في بعض الأحيان بألفاظ وعبارات قاسية. ويضيف أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر وبعد اغتيال المخرج السينمائي الهولندي فان جوخ يوم ٢ نوفمبر ٢٠٠٤م لم يعد الخطاب عن الإسلام في النقاش العام خليطاً من الموضوعات ذات العلاقة بدور الدين في المحيط العام في دولة علمانية، كذلك لم يكن هذا النقاش محصوراً في موضوعات كالهجرة، والاندماج في المجتمع، لكنه بدأ يأخذ منحىً آخراً ويتناول موضوعات تتعلق بالأمن و«الحرب على الإرهاب»، وغدت الحركة السلفية على وجه



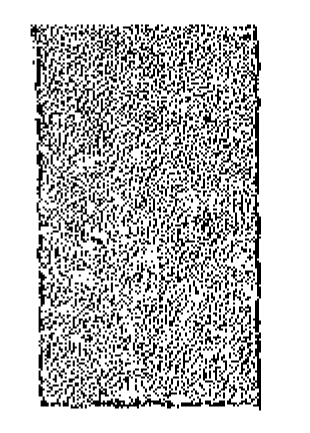
الخصوص مركز الاهتمام، إذ تم ربطها بعدم التسامح، والترويج للعنف ضد «الكفار»، وتأجيج الكراهية ضد السياسيين وغيرهم من قادة الرأي.[١].

ويرى البروفيسور جون اسبوزيتو John Esposito، أستاذ الأديان والعلاقات الدولية والدراسات الإسلامية، و مؤسس ومدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي في جامعة جورج تاون George Town University في العاصمة الأميركية واشنطن أن المعلومات القليلة عن الإسلام، والمفاهيم المغلوطة بالنسبة للكثير من الأمريكيين، إضافة إلى بعض الأحداث التي حدثت منذ السبعينيات من القرن الماضي، مثل الثورة الإيرانية والرهائن الأمريكيين في إيران، وحرب الخليج الأولى بين إيران والعراق، وغيرها قد شكلت صورة عن الإسلام بأنه متزمت وعدواني ومضاد للغرب[٢].

هذا الرأي يؤكده الدكتور رالف سالمي Ralph Salmi،

(1) Martijin de Konning in: Changing Worldview and Friendship An Exploration of the Life of Tow Female Salafis in the Netherlands. Roel Meijer(edit.), Hurst & Co. (Publishers) Ltd. United Kingdom, 2009, PP. 408409-

(2)http://www.aljazeera.net/Channel/archive archive?ArchiveId=89803

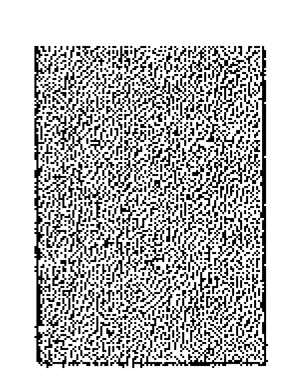


عضو هيئة التدريس في شعبة العلوم السياسية ودراسات الأمن القومي بجامعة كاليفورنيا الحكومية، إذ يرى أن الكتابات الغربية التي تهدف إلى وضع الإسلام في إطار مشابه إلى ما ذهب إليه صمويل هنتيجتون Samuel Huntington في كتابه «صدام الحضارات Clash of Civilizations» موجودة. ويشير إلى بعض الأمثلة لهذه الكتابات، ومنها: كتاب ستيفن إميرسون Steven Emerson، الجهاد الأمريكي: الإرهابيون يعيشون بيننا :American Jihad The Terrorists Living Among Us، وكتاب دور جولد Dore Gold مملكة الكراهية Hatred›s Kingdom، والأعمال العديدة لدانيال بايبس Daniel Pipes، مثل: اليد الخفية: الخوف الشرق أوسطي من المؤامرة The Hidden Hand: Middle East Fears of Conspiracy، والإسلام المسلح يصل أمريكا، وغيرها[1].

ويظهر تخوف الغربيين من الإسلام واضحاً في نتائج

---

(١) رالف سالمي. «المصادر المتعلقة بالمفاهيم الأمريكية حول الإسلام والإرهاب»، ضمن بحوث نشرت في كتاب: (السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية)، مرجع سابق، ص ٣٦٨.

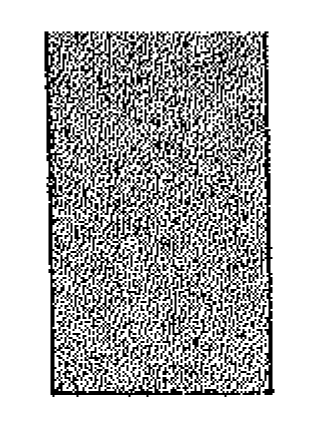


استطلاعات الرأي التي تجريها المؤسسات الإعلامية أو مراكز الدراسات، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وعقب كل عملية تفجير أو هجوم مسلح يحدث في الغرب.

ومن هذه الاستطلاعات – مثلاً – ما نشرته صحيفة ديلي تلغراف Daily Telegraph البريطانية من أن هناك أعداداً متزايدة من الناس في بريطانيا يخشون من أن البلاد تواجه مشكلة مع المسلمين، وقالت الصحيفة إنه بناءً على استطلاع للرأي أجراه موقع (يوجوف YouGov) على شبكة الإنترنت، فإن ٥٣٪ من البريطانيين يعتقدون أن الإسلام يشكل تهديداً للغرب.[1].

هذا الاستطلاع تم إجراؤه في أعقاب الهجمات التي استهدفت محطة القطارات في العاصمة البريطانية لندن، وهي الهجمات التي حظيت بتغطية واسعة وانتقادات حادة من الصحف اليومية البريطانية. ولا شك أن نسبة كبيرة من هذه الآراء السياسية والفكرية صدرت بفعل تأثير التغطيات

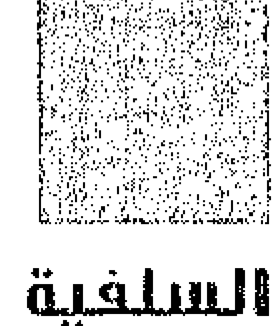
(1)http://www.telegraph.co.uk/news/1527192/Islam-poses-a-threat-to-the-West-say-53pc-in-poll.html



الصحفية للحدث.

كما أظهر استطلاع آخر للرأي أجراه مركز بيو للبحوث حول الناس والصحافة Pew Research Center for People & the Press، ومنتدى بيو للدين والحياة العامة Pew Forum on Religion & Public Life في المدة من ١٩ إلى ٢٢ أغسطس ٢٠١٠م أن الرأي العام في الولايات المتحدة ما يزال يعبّر عن وجهات نظر متناقضة عن الإسلام[1]. وأشار الاستطلاع، الذي شمل ١٠٠٣ أشخاص من البالغين، إلى أن الآراء التي تحمل صورة محببة عن الإسلام كانت أقل من تلك التي أظهرها استطلاع آخر أُجري خلال صيف عام ٢٠٠٥م. وأضاف أن ٣٠٪ من العينة التي شملها الاستطلاع الأخير، قد ذكرت أنها تحمل آراء محببة عن الإسلام، مقابل أكثر من ٣٨٪ بقليل كانت وجهات نظرهم لا تحمل صورة محببة عن الإسلام. يُذكر أن هذا الاستطلاع تم أثناء جدل واسع في الولايات المتحدة الأمريكية حول مقترح لتشييد مسجد ومركز إسلامي قريباً

(1) http://pewforum.org/Muslim/Public-Remains-Conflicted-Over-Islam.aspx



من المكان السابق لمركز التجارة العالمي في نيويورك.

وعن التشويه المتعمد للحقائق تقول باربرا فيرجسون:

(لاحظت – شخصياً – أن هناك عدداً من الإعلاميين الغربيين هم – وهم زملائي- يتعمدون تشويه الواقع، غير أني أعزو ذلك في الكثير من الحالات إلى قصور في الفهم والمعرفة وكذلك قصور في تقدير الشعوب الأخرى وثقافتها وديانتها ولغتها)[١].

وغير بعيد عن هذا الاتجاه يرى الدكتور فيليب سيب Philip Seib، أستاذ الصحافة بجامعة ماركويتي Marquette University في ولاية ويسكونسن Wisconsin الأمريكية، أن تعامل وسائل الإعلام مع المعلومات المتعلقة بأخبار السعودية والإسلام غير جيد.

يقول في هذا الصدد:

(إن وسائل الإعلام - وبالتحديد أخبار التلفزيون وغيرها من الوسائل التي تركز على جمهور المستمعين -

---

(١) باربرا فيرجيسون. «لماذا يحمل الغرب صورة مشوّهة عن المرأة السعودية»، ضمن بحوث نشرت في كتاب: (السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية)، مرجع سابق، ص ١٦٥-١٦٧.



لا تتعامل دائمًا بشكل جيد مع التعقيد الذي يمثل جزءاً لا يتجزأ من الثقافة والسياسة والعلاقة السعودية مع الغرب)[١].

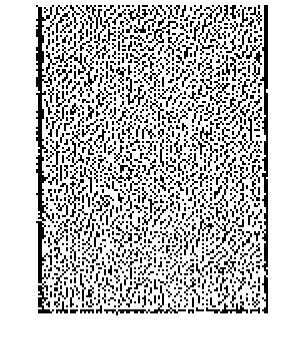
ويضيف:

(إن المسائل المعقدة المتعلقة بالإسلام والنفط لا تقدم نفسها للتحليل الصحفي، لذلك فإن التعامل مع مثل هذه الكتابات لا يزال في الغالب سلبيًا كمسائل أحادية البعد، ويمكن وصفها في خطوط عريضة سريعة أو تعميم مقتضب)[٢].

هذا الرأي لأكاديمي أمريكي هو ما يشرحه باسل عقيل Bassil Akel في مقالة له عن الإسلام والإعلام الغربي، مشيراً إلى **(أن الغرب يعجّ بالكثير من الصور النمطية المشوهة وسوء الفهم عن الإسلام الذي يُعدّ أسرع الأديان انتشاراً في الغرب، وسبب ذلك هو جهل وسائل الإعلام**

(١) فيليب سيب. «التغطية الإعلامية الغربية لتعامل المملكة العربية السعودية مع الإرهاب»، ضمن بحوث نشرت في كتاب: (السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية) ،مرجع سابق، ص ٥٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢٢.



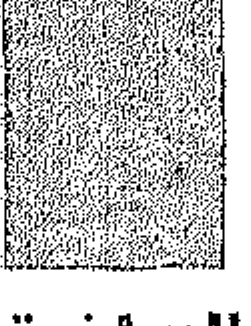
بالإسلام. فالإسلام يُنظر إليه على أنه دين «متطرف»، و«إرهابي»، و «أصولي». وفي الكثير من الأحيان فإن أخبار وسائل الإعلام الغربية وتقاريرها عن الإسلام تكون غير صحيحة بسبب جهلها بالإسلام نفسه)[١].

هذه الحقيقة أكدها مركز جالوب Gallup الذي أجرى دراسة مسحية على آراء الأمريكيين حول بعض الأديان[٢] في الفترة من ٣١ أكتوبر وحتى ١٣ نوفمبر ٢٠٠٩م. وكانت بعنوان: (المفاهيم الدينية في أمريكا: مع تحليل متعمق للمواقف في الولايات المتحدة حول الإسلام والمسلمين)[٣].

وعلى الرغم من أن الدراسة شملت الإسلام، والنصرانية، واليهودية، والبوذية، إلا أنها ركزت بصورة خاصة على آراء الأمريكيين حول الإسلام والمسلمين. والجزئية من هذه الدراسة التي استطلعت معرفة الأمريكيين بالإسلام تثبت أن هناك جهلاً كبيراً بالإسلام في الولايات المتحدة، إذ

---

(1) http://www.islamfortoday.com/media.htm
(2)http://www.forwardthinking.org/data/documents/MWF_WorldReligion_Report_en-US_final.pdf
(3) Religious Perceptions in America: An In-Depth Analysis of U.S Attitudes Toward Muslims and Islam.



أشارت نتائج الدراسة إلى أن معظم الأمريكيين لديهم معرفة قليلة جداً عن الإسلام (٤٠٪)، أو ليست لديهم معرفة عن الإسلام على الإطلاق (٢٣٪)[١].

ومن الغريب في نتائج هذه الدراسة أنها أشارت إلى أن عدد الأمريكيين الذين يعبرون عن مشاعر سلبية حول المسلمين يفوق مرتين عدد الأمريكيين الذين يعبرون عن المشاعر نفسها تجاه البوذيين، والنصارى، واليهود[٢].

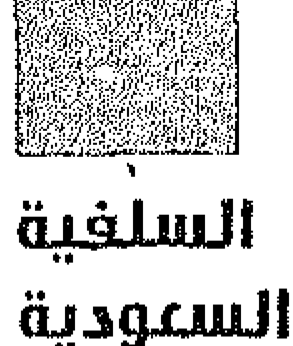
نتائج الدراسة السابقة تتفق مع استطلاع للرأي أجراه مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية عام ٢٠٠٦م أشارت نتائجه إلى أن ٢٪ فقط من الأمريكيين ذكروا في إجاباتهم أن لديهم «معرفة كبيرة» عن الإسلام[٣].

وإذا كانت وسائل الإعلام تعد اليوم أحد مصادر المعلومة الرئيسة عن الشعوب والثقافات والأديان وغيرها للسياسيين والمثقفين المرموقين، فإنها في المجتمعات الغربية تعد المصدر الأول للرأي العام في اكتساب المعارف والمعلومات

(١) المرجع السابق.
(2)http://www.prnewswire.com/news-releases/cair-poll-on-anti-islam-bias-shows-need-for-us-muslim-outreach-82282817.html
(٣) المرجع السابق.

عن العالم من حولهم. لكن هذه الوسائل لا تزال تمارس نشر معلومات مغلوطة ومتناقضة وغير دقيقة عن الإسلام والمسلمين، ولها تأثير قوي في الجمهور، لاسيما في تعزيز الصور النمطية السلبية، مثل وصف المسلمين دوماً بأنهم متطرفون وإرهابيون وقتلة.

العناوين الرئيسة للصحف والمجلات الغربية ونشرات الأخبار في المحطات التلفزيونية الغربية تحمل الكثير من المضامين التي تعزز هذه المفاهيم. ويمكن التأكيد على أن وسائل الإعلام في الغرب تقوم بدور محوري في تشويه صورة الإسلام والمسلمين بصورة عامة، والسلفية والسلفيين، بصورة خاصة، ليس في الغرب فحسب وإنما في العديد من أنحاء العالم، الذي أصبح يتأثر سلباً وإيجاباً بما تبثه وسائل الإعلام الغربية، التي خُصّصت لها الميزانيات الضخمة والموارد البشرية الهائلة. ولا شك أن مجموعات الضغط الصهيونية وغيرها من المجموعات المناهضة للإسلام والمسلمين تؤثر هي الأخرى من خلال نفوذها السياسي، والمالي، والإعلامي وتقوم بدور لا يستهان به في تشويه هذه الصورة، وتوجيه الرأي العام الوجهة التي تريدها.



إن قراءة العناوين التالية – على سبيل المثال - تثبت حقيقة تعمد وسائل الإعلام في الغرب تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتوجيه الرأي العام نحو الأهداف التي تسعى لها:

- مسلم يقتل ابنته لتدنيسها الشرف باتخاذها صديقاً[١].
- زوج مسلم يقتل زوجته وأطفاله بسبب سلوكهم الغربي[٢].
- توجيه التهمة لانتحاري مسلم عن أسوأ هجوم في «يوم الإرهاب الهندي»[٣].
- مقتل إرهابيين مسلمين في ملاحقات في الصين[٤].

وعندما يكون الأمر متعلقاً بطرف من غير المسلمين تكون عناوين هذه الصحف مختلفة جداً. فلا مجال لذكر الانتماء الديني، كأن تكتب في العنوان: رجل مسيحي، أو

(١) صحيفة ذا التايمز The Times، ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣م.
(٢) صحيفة ذي اندبيندنت The Independent، ٢١ فبراير ٢٠٠٧م.
(٣) وكالة الصحافة الفرنسية – AFP، ٢٠٠٦/٩/١٩م.
(٤) ذا تيليجراف The Telegraph ٩ يوليو ٢٠٠٨م.

يهودي، أو بوذي، أو هندوسي يقتل ابنه أو ابنته، وإنما تظهر العناوين على النحو التالي:

- رجل شرطة يقتل زوجته، واثنين من أطفاله[١].
- اعتقال مراهق أمريكي لقتل أمه في الهند[٢].
- مقتل ٦ أشخاص بما فيهم المسلح في جامعة إلينوي الشمالية[٣].
- رجل من أيوا Iowa يقتل زوجته، وأربعة من أطفاله ثم يقتل نفسه[٤].

هذه المضامين التي تحملها عناوين الصحف والمجلات وغيرها من وسائل الإعلام تؤثر كثيراً في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وتوجيه الرأي العام بل وتأليبه ضد كل ما يمت للإسلام والمسلمين بصلة. وهي، كما هو واضح، تصاغ بعناية بالغة لتحقيق أهداف محددة. فلماذا عندما يتعلق الحدث بمسلم، تتم الإشارة فيه صراحة إلى الدين،

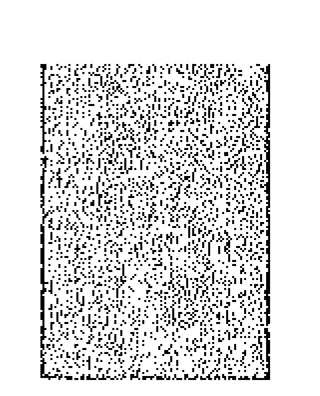
(١) صحيفة بيتسبيرج تريبون ريفيو Pittsburgh Tribune Review- ١١ يوليو ٢٠٠٨م.
(٢) AP ١٦ أغسطس ٢٠١٠م.
(٣) سي ان ان CNN، ١٤ أغسطس ٢٠٠٨م.
(٤) صحيفة يوإس أيه توداي USA Today- ٢٨-٣-٢٠٠٨م.



وعندما يكون الحدث متعلق بشخص آخر ليس مسلماً، فإن العنوان يحمل الكثير من الغموض دون الإشارة لأي انتماء ديني له، ولا يوصف بأنه انتحاري أو إرهابي؟

إضافة إلى ذلك فإنه من المهم تقرير حقيقة أن عدداً من المؤسسات الإعلامية الكبرى في الغرب تحمل أجندة خاصة ومسبقة تخدم سياسة المؤسسة الإعلامية التي يعملون فيها، ولا يستطيع أي من مراسليها الحياد عن هذه السياسة، وإن فعل فإن مصيره سيكون النقد والسخرية وربما الفصل من المؤسسة.

وحيث إن الإسلام يمثل لكثير من المؤسسات الإعلامية الغربية موضوعاً للنقد والتشويه فإن هذه المؤسسات لا تتسامح مع موظفيها الذين يحيدون عن أهدافها. ولعل في قصة الإعلامي والمحلل الإخباري في الإذاعة القومية العامة الأمريكية NPR، جوان ويليامز Juan Williams ما يكون شاهداً على ذلك. فقد أنهت الإذاعة عقد جوان ويليامز بعد مقابلة معه في قناة فوكس نيوز Fox News في شهر أكتوبر من عام ٢٠١٠م. والسبب هو أن ويليامز كان ضيفاً في برنامج «The O'Reilly Factor» الذي يقدمه بيل



أوريلي Bill O'Reilly، حيث طُلب منه التعليق على مقولة أن الولايات المتحدة تواجه مشكلة مع المسلمين. كان أوريلي يهدف من إلقاء هذا السؤال إلى كسب التأييد لما ذهب إليه في حلقة سابقة من برنامج «وجهة النظر The View» في قناة أيه بي سي ABC، إذ وجه خلال هذه الحلقة اللوم بصورة مباشرة للمسلمين متهماً إياهم بالضلوع في هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م. لكن ويليامز رد على المذيع محذراً من خطورة لوم جميع المسلمين ووصفهم جميعاً بأنهم إرهابيون، قائلاً: إن من لازم هذا القول أنه يجب في المقابل توجيه اللوم للنصارى جميعاً على الهجوم الإرهابي الذي نفذه تيموثي ماكفي Timothy McVeigh في مدينة أوكلاهوما Oklahoma عام ١٩٩٦ م. وبعد البرنامج ووجهت تعليقات ويليامز بنقد شديد، فأصدرت الإذاعة القومية العامة الأمريكية بياناً تمتدح فيه ويليامز كمشارك له قيمته، لكنها مع ذلك أشارت إلى أنها منحته إخطاراً يقضي بإنهاء خدماته. وبررت المؤسسة هذا القرار بقولها إن ملاحظات ويليامز في برنامج The O'Reilly Factor «لا تتسق مع معاييرنا وأساليبنا التحريرية»، وهي،



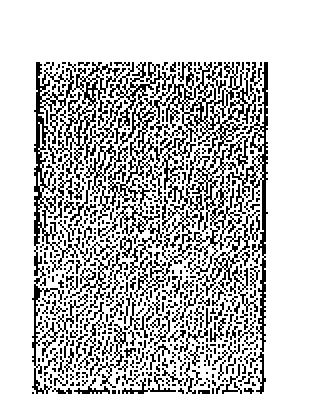
أي الملاحظات، تقوّض من مصداقيته كمحلل إخباري في الإذاعة القومية العامة الأمريكية.

المعايير والأساليب التحريرية هي – بالتأكيد- ليست السبب في طرد الموظف، بل السبب هو الأيديولوجيا التي حاد عنها الإعلامي ودافع فيها عن الإسلام مستخدماً الأسلوب العقلي في جواب لسؤال وُجه له، لكن الإجابة لم تكن مرضية للمؤسسة الإعلامية ولا محققة لأيديولوجيتها التي تريد بها تشويه الإسلام لدى الرأي العام الغربي.

ثامناً: استهداف السعودية

سبقت الإشارة إلى أن الكتابات الغربية بشكل عام تستخدم بصورة واسعة مصطلح «السلفية» كمرادف «للوهابية»، والعنف والإرهاب والتطرف. واتضح من خلال البحث في الكتابات الغربية التي تناولت السلفية والسلفيين أن هذه الكتابات تتعمد زج المملكة العربية السعودية في أي هجوم أو نقد توجهه للحركة السلفية، أو حتى لجماعات أو مراكز أو مؤسسات إسلامية تعمل خارج المملكة.

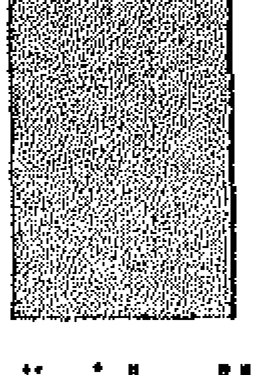
يمكن أن يكون الأمر مقبولاً إذا كان الطرح يتسم بنقد



بناء وموضوعي يبرز الحقائق والأفكار مدعومة بالبراهين التي لا يخالجها الشك، فهذا يقبله كل عاقل منصف يبحث عن أخطائه ليصلحها ويقومها. لكن ذلك النقد جاء في سياق التحامل والهجوم على المملكة وسياستها، بل والهجوم على العلماء والحكام، والتقليل من شأن المساعدات التي تقدمها المملكة للدول الإسلامية والأقليات المسلمة، والإغاثات الإنسانية لكل محتاج في كل مكان من الأرض، بل والتشكيك في هدف المساعدات والإغاثات ووصفها بأنها تهدف لبذر التطرف والعنف، وتنشئة جيل يحمل الكراهية للآخر المختلف معه.

الهجوم على المملكة وتشويه صورتها لم يبدأ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، أو التفجيرات التي ظلت تحدث هنا وهناك خلال العقد المنصرم،بل إن استهداف المملكة العربية السعودية ونظامها كان قبل ذلك بكثير، كما يشير إلى ذلك ريتشارد كورتيس Richard Curtis، وديلندا هانلي Delinda Hanley:

(الحملة الإعلامية الشرسة ضد السعودية والعالم العربي لم تبدأ في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. لقد بدأت في



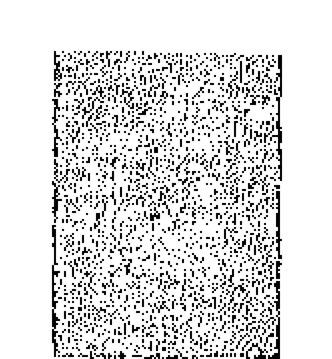
هوليود منذ عقود من الزمان. فالأفلام السينمائية والبرامج التلفزيونية، ظلت، إما عن قصد أو دون قصد، تُغذي عقول الأمريكيين بصور من قبيل: «شيوخ النفط الأغنياء الفاسدون»، و«البدو قطاع الطرق»، و«العرب المتطرفون الأشرار المناوئون لأمريكا»)[1].

ومع هذا، فلا يمكن تجاهل حقيقة أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما أعقبها من تطورات وحروب وهجمات سلّطت المزيد من الأضواء على المملكة، واستغلت بعض الأقلام هذه التطورات والأحداث التي تورط فيها بعض المسلمين لشن المزيد من النقد والهجوم على المملكة، بوصفها قبلة المسلمين وحامية الحرمين الشريفين.

وقد رصدت كثير من المنظمات الإسلامية في الغرب وغيره مثل هذا التوجه الغربي الذي استهدف السعودية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، فقد لاحظ مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية في الولايات المتحدة (كير)

---

(١) ريتشارد كورتيس وديلندا هانلي. «اللوبي الصهيوني في أمريكا والحملات المغرضة ضد السعودية»، ضمن بحوث نشرت في كتاب: (السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية)، مرجع سابق، ص ٥٥٢.



أن الحملة الإعلامية على الإسلام في السعودية قد بدأت في اليوم التالي لأحداث ١١ سبتمبر، رغم أنه لم تكن تبينت أية معلومات عن هوية المتسببين فيها[١]. وعرض المجلس إحصائية موثقة عن حجم ما كتب عن السعودية في وسائل الإعلام الأمريكية فقط، وذكر أنه في شهر أكتوبر من عام ٢٠٠١ بلغ عدد المقالات التي كتبت عن الإسلام في السعودية ٤٢١٢ مقالاً، وبلغ إجمالي المقالات في ذلك العام ١٤٦٣٩ مقال مقارنة بما يقرب من ٢٩٠٠ مقال في عام ٢٠٠٠، أي بزيادة قدرها ٤٠٠ ٪ [٢]، هذا فضلاً عن الأخبار والتقارير الصحفية الأخرى.

أما طبيعة القضايا التي تناولتها تلك المقالات فقد أوضح تحليل تقرير مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية أنها تناولت موضوعات المناهج الدراسية والتعليم في السعودية، وقضايا المرأة المسلمة في السعودية، والربط بين مصطلح الإرهاب بمفهومه الغربي وبين السعودية،

---

(١) محمد السلومي. القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب. سلسلة إصدارات مجلة البيان، الرياض، ٢٠٠٤، ص ٣٨٧.

(٢) المرجع السابق.

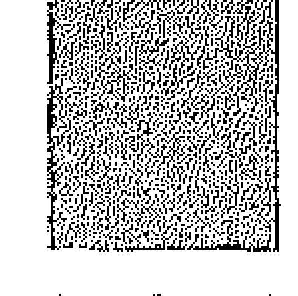


وقضايا العلماء والدعاة في السعودية[1].

دور جولد Dore Gold بدوره ألف كتاباً نشره عام ٢٠٠٣م سماه: (مملكة العنف: كيف تدعم السعودية الإرهاب العالمي الجديد Hatred›s Kingdom: How Saudi Arabia Supports the New Global Terrorism). دور جولد هو سفير سابق لإسرائيل في هيئة الأمم المتحدة، وربما يكفي هذا لمعرفة مضمون الكتاب وموقف مؤلفه الذي لن يكون محايداً أو نزيهاً في طرحه. نفث الكاتب كل سمومه ووجه اتهامات للسعودية، وربط بين الهجوم على مركز التجارة العالمي عام ٢٠٠١م، والهجمات التي حدثت في جزيرة بالي Bali بإندونيسيا في شهر أكتوبر من عام ٢٠٠٢م، وغيرها وما سماه «أيديولوجية الكراهية التي تدرس في المدارس والمساجد في السعودية». ولم ينس المؤلف أن يشير إلى الدور الرئيس الذي أدته الوهابية في تشكيل التطرف الإسلامي الحالي.

وليس أدلّ على اتفاق الأهواء التي تبارك أي هجوم وتشويه لصورة المملكة، من تلك التعليقات التي نُشرت عقب صدور

(١) المرجع السابق.



هذا الكتاب، وهي تعليقات نُشرت في صحف ذائعة الصيت ولها قاعدتها الكبيرة من القراء. فعلى سبيل المثال كتب توبي هارندين Toby Harnden في صحيفة لندن ديلي تلغراف London Daily Telegraph البريطانية في تعليقه على كتاب دور جولد ما نصه:

(بعض كبار المسؤولين، على وجه الخصوص في البنتاجون، يرددون أفكار دور جولد، السفير الإسرائيلي السابق في الأمم المتحدة، والذي أشار كتابه الأخير «مملكة الكراهية» لرجال الدين السعوديين الوهابيين المتطرفين بوصفهم السبب الرئيس للإرهاب)[١].

أما اليكس اليكزيف Alex Alexiev، فقد كتب في مجلة كومنتري Commentary Magazine في عددها لشهر مايو ٢٠٠٣م ما يلي:

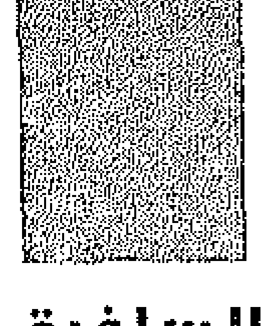
(لقد أوضح جولد أيضاً الدور الرئيس الذي أدته طائفة الوهابية في تشكيل التيار العريض للتطرف الإسلامي)[٢].

---

(1) http://www.jcpa.org/hkingdom.htm.

(٢) المرجع السابق.



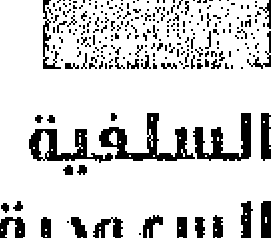


حتى مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحوار بين أتباع الأديان لم تسلم من سهام النقد، بل استغلت المبادرة من قبل بعض الأقلام الغربية لتمرير أجندتها في نقد المملكة. فعلى سبيل المثال، نشرت صحيفة (كريستيان ساينس مونيتور Christian Science Monitor) مقالاً مطوّلاً جاء فيه:

(ليست السعودية مهد الإسلام فحسب، لكنها أيضاً راعية النسخة المتشددة من الإسلام السني التي تسمى الوهابية، وهي تحظر الممارسات العلنية للمعتقدات الأخرى في المملكة وترفض الحوار الديني مع غير المسلمين «الكفار»)[1].

ومن خلال تناول المناهج الدراسية في السعودية تسعى بعض الجهات لتوجيه النقد الحاد للمملكة وسياستها ومؤسساتها. يحدث هذا على الرغم من أن المناهج الدراسية شأن داخلي تقره المؤسسات المعنية في كل دولة بما يتفق مع قيم وتوجهات وسياسات تلك الدولة. وليست هناك

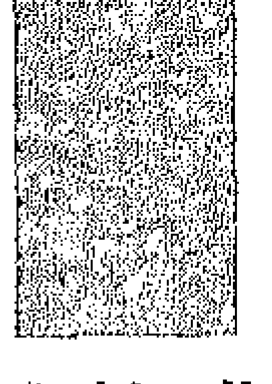
(1)http://www.csmonitor.com/World/Middle-East/20080708//p01s03-wome.html.



دولة ترضى أن يتدخل من هم خارجها في وضع مناهجها الدراسية. لكن يبدو أن التعامل مع السعودية ومناهجها مختلف في نظر مراكز البحوث والدراسات الغربية. فهذا مركز الحرية الدينية في معهد هودسون Hudson Institute الأمريكي، بالتعاون مع مركز شؤون الخليج الذي يتخذ من مدينة واشنطن مقراً له، ينشر تقارير عن وضع المناهج الدراسية في السعودية، ويشير في تقريره الذي أصدره عام ٢٠٠٨م، والذي جاء بعنوان: (المنهج المدرسي غير المتسامح في السعودية) في أكثر من موضع منه إلى أن المناهج الدراسية السعودية تكرّس مفاهيم كراهية الآخر، وتنشر التطرف والعنف، وعدم التسامح.

وكان هذا المركز قد أصدر قبل ذلك تقريراً عام ٢٠٠٦م جاء فيه:

(استمر المنهج الديني في المدارس السعودية الحكومية في نشر أيديولوجية الكراهية ضد «الكفار» وهم النصارى، واليهود، والشيعة، والصوفية، والمسلمين السنة الذين لا يعتنقون المذهب الوهابي، والهندوس،



والملحدين، وغيرهم)[١].

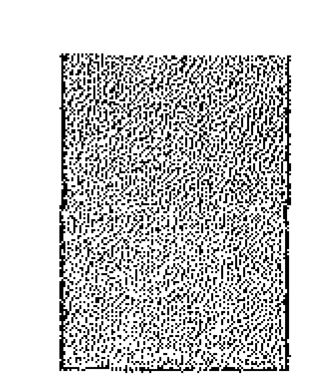
ويتناول التقرير في موضع آخر ما وصفه بـ (رعاية الحكومة السعودية لمنهج دراسي يُنمّي ظاهرة العنف وعدم التسامح)، ويورد الفقرة التالية:

(إن رعاية الحكومة السعودية للمقررات الدراسية التي تُروّج لتعليم العنف غير المتسامح، تُمثّل تهديداً للمصالح الأمريكية، وانتهاكاً لالتزامات حقوق الإنسان الدولية والثنائية التي التزمت بها السعودية)[٢].

الهجوم على المناهج الدينية في السعودية لم يكن إلا ذريعة للهجوم على المملكة، لأن هذه المناهج التي تُتهم بأنها تروّج للعنف والكراهية هي نفس المناهج التي ظلت تُدرس في المؤسسات التعليمية السعودية لعشرات السنين وتخرج منها آلاف الطلاب الذين درس كثير منهم المرحلة الجامعية وفوق الجامعية في الغرب، ولم يوصف أحد منهم بأنه إرهابي لأنه درس المناهج الدينية السلفية المتشددة.

(1) Saudi Arabia›s Curriculum of Intolerance, Center for Religious Freedom of the Hudson Institute, with the Institute for Gulf Affairs, 2008, P. 11.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢.



ذلك أنه من غير المنطقي التسليم بأن المناهج الدينية قد أثّرت في الجيل الذي درسها خلال العشر سنوات الماضية، ولم تؤثّر على الأجيال التي سبقت ذلك.

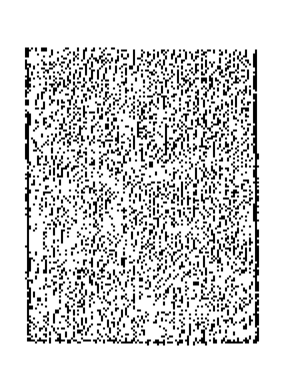
المبحث الثالث
الرد على الإفتراءات

تشويه صورة الإسلام والسلفية

السلفية الوهابية هي الدين الرسمي في السعودية

الوهابية هي عقيدة التطرف والإرهاب

وهابية (البترودولار)



تشويه صورة الإسلام والسلفية

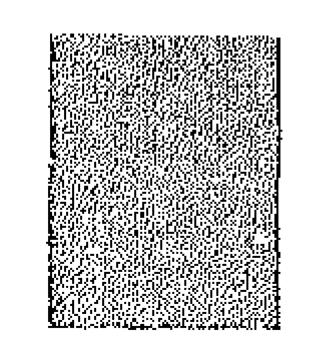
ندرك نحن السعوديين، ويعرف ذلك العالم الإسلامي كله، أن المملكة العربية السعودية هي قلعة الإسلام التي استعصت على التغريب، وهي الدولة الوحيدة في العالم الإسلامي التي قامت وتأسست على مصدري الوحي في الإسلام: القرآن الكريم والسنة النبوية، وهما الحاكمان الوحيدان على أنظمة الدولة وحياة المجتمع، في السياسة والحكم والقضاء والتعليم وغيرها من أوجه الحياة المختلفة للمواطن السعودي والمقيم على أرض المملكة العربية السعودية. هذان المصدران اللذان يستمدان تعاليمهما في الحياة هما وحي أنزله الله على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، يطبقان في المملكة العربية السعودية ولا يزاحمهما قانون وضعي أو دستور وضعه برلمان أومجلس



تشريعي أفرزته عقول البشر.

ولأن السعودية هي مهبط الوحي ومنبع الرسالة الإسلامية وفيها أعظم مقدسات المسلمين فقد حمل السعوديون على عواتقهم، حكومة وشعباً، مسؤولية الحفاظ على دين الإسلام والدفاع عنه بل والدعوة إليه داخل المملكة وخارجها.

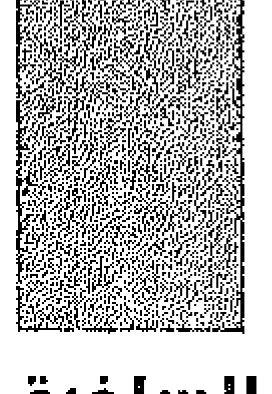
ومن أجل ذلك كانت المملكة العربية السعودية بعقيدتها الإسلامية وهوية مواطنيها التي ترجمت الإسلام ديناً وممارسة وسلوكاً هدفاً لكثير من السياسيين والمنظرين الاستراتيجيين الغربيين الذين يريدون أن يطفئوا وهج هذا الدين في جزيرة العرب، والحد من تأثيره خارجها، والوقوف أمام رسالته العالمية التي تتعارض مع الثقافة الغربية العلمانية التي يُراد لها أن تسود في العالم كله، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص. وقد كان الغرب يتحين كثيراً من الفرص التي يحاول فيها تشويه صورة الإسلام، وتوجيه الاتهامات للسلفية في معقلها في المملكة العربية السعودية لكنه لم ينجح في ذلك، فلم ير من الحكومة السعودية إلا التوسط في المنهج، والتوازن في التعامل مع الآخر المختلف، كما لم ير من السعوديين إلا الاعتدال في



التدين، والحكمة في الدعوة إلى الإسلام، وحب الخير للآخرين أيا كانت مللهم وثقافاتهم، ولذلك لم يجدوا لنقد السلفية وتشويه صورة الإسلام في مهده ومنطلق رسالته مدخلاً يقنع غيرهم بصدق دعواهم.

ثم جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ فكانت الفرصة السانحة للأصولية المسيحية والإنجليين الجدد الذين تمكنوا من السيطرة على مفاصل الإدارة والقرار في الولايات المتحدة لاستهداف الإسلام وتشويه صوره النقية في نفوس العالم والمسلمين على حد سواء. فما كان من الحكومات الغربية ومراكز الدراسات الاستراتيجية فيها ووسائل إعلامها إلا أن تعلن الحرب الفكرية على العالم الإسلامي. وكما ذُكر في مقدمة هذا الإصدار، فقد نهج الغرب استراتيجيتين خطيرتين تجاه العالم الإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة بدعوى (الحرب على الإرهاب). هاتان الاستراتيجيتان اتخذتا أسلوبين في تطبيقهما:

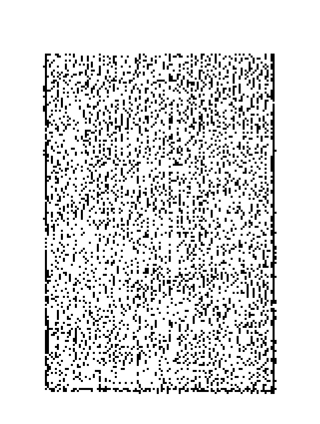
الأول: هو الحرب العسكرية، التي استهدفت العراق والإطاحة بنظامه وإعادة ترتيبه وفقاً لأطماع ومصالح



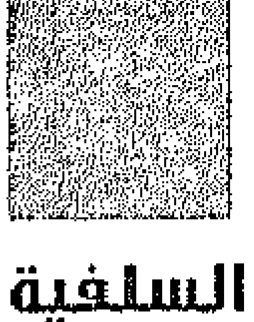
محددة سلفاً. اختارت الاستراتيجية العسكرية العراق كهدف رئيس لاعتبارات عسكرية وجغرافية وسياسية لقربها من إيران العدو وإسرائيل الصديق والحليف.

الأسلوب الثاني: هو الحرب الناعمة (الفكرية والإعلامية)، التي استهدفت المملكة العربية السعودية، ديناً ودولة وشعباً ومؤسسات. فالغرب يدرك مكانة المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي، وأنه من الصعوبة بمكان النيل منها عسكرياً لما قد يجره ذلك من انتصار العالم الإسلامي كله لأراضيه المقدسة التي تحتضنها المملكة العربية السعودية، وأن أي مغامرة عسكرية غير محسوبة لا تأخذ بهذا الاعتبار فإنها قد تبوء بالفشل. فلم يكن للغرب بد من أن يستغل الفرصة السانحة ليبدأ حملته الناعمة ضد المملكة العربية السعودية التي تزامنت مع حربه العسكرية في العراق، في محاولة لتغيير ما يمكن تغييره من دينها وهويتها الثقافية، متخذاً من منابره السياسية والثقافية والإعلامية وسائل لإحداث التغيير المطلوب.

ولأنها (حرب ناعمة)، وشرسة في الوقت نفسه، فقد ركزت على أهم مكامن القوة المعنوية في المملكة العربية



السعودية، وهو الإسلام، الذي تأسست عليه الدولة وتوحد عليه شعبها. تنوعت الكتابات الغربية في حديثها عن الدين الإسلامي وتأثيره في السعودية وخارجها، مستهدفة أسسه النظرية وتطبيقاته في المجتمع السعودي. وكان من الطبعي أن يستأثر موضوع السلفية والوهابية بتركيز الغربيين واهتمامهم، في محاولة للتشويش على صفائهما في مخيلة الرأي العام النخبوي والشعبي في الغرب والعالم الإسلامي وفي السعوديين أنفسهم. وقد حاولت كثير من الكتابات الغربية ربط هذين المفهومين بالتشدد والتطرف، تحقيقاً لأهداف الحرب الناعمة التي رامت إضعاف القوة المعنوية وتذويب الهوية الدينية والثقافية للمسلمين، وسعياً لإرساء ملامح (الشرق الأوسط الجديد) الذي رسمته وبشرت به حكومات الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص. وقد كانت مؤسسات البحث ومراكزه الاستراتيجية في الولايات المتحدة هي المخطط النظري والفلسفي لهذه الحرب الدينية، ولذلك ظهرت الكثير من الدراسات التي وضعت الخطط التنفيذية لتشويه صورة الإسلام والسلفية وكانت عوناً لأصحاب القرار في تنفيذ هذا الهدف الذي طال

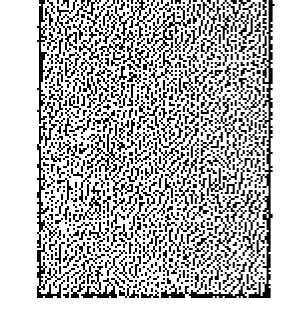


وقت انتظاره. ومن أشهر هذه الدراسات البحث النظري والتكتيكي الذي نشرته مؤسسة راند بعنوان: (إسلام حضاري ديموقراطي: شركاء، موارد، واستراتيجيات Civil Democratic Islam: partners,resources,and strategies) الذي أعدته الباحثه شيريل بينارد Cheryl Benard ونشرته المؤسسة عام ٢٠٠٣ م واحتوى على مجموعة من الأفكار والخطط التنفيذية لمواجهة الإسلام وتغيير أصوله ليكون إسلاماً أمريكياً بالمقاييس الغربية، والتقرير منشور على شبكة الانترنت لمن أراد أن يطلع عليه ويتعرف على أهدافه ووسائله.

ولا يزال بعض الساسة في الغرب يسعون لتطبيق استراتيجيته في تغيير الأصول الكلية للإسلام وتشويه صورة السلفية حتى يومنا هذا، سواء بأدواتهم هم أو من خلال عملائهم في العالم الإسلامي.

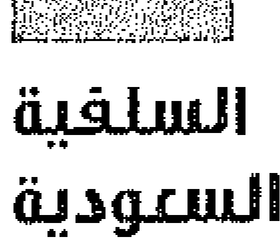
السلفية الوهابية هي الدين الرسمي في السعودية

شبهة أن الوهابية هي الدين الرسمي في السعودية، وأن السعوديين لهم نسخة متشددة من الإسلام خاصة بهم، وأن



هذه النسخة مختلفة عما هو موجود في العالم الإسلامي هي نتاج تأويلات خطأ استقرت في العقل الجمعي لدى كثير من المستشرقين والمعنيين بشؤون الأديان والثقافات في الغرب. وهذه الشبهة التي يراد لها أن تسود في الثقافة الغربية ويروج لها في مناطق عديدة من العالم هي شبهة مناقضة للحقيقة التي لو أراد المنصفون في الغرب أن يبحثوا عنها لوجدوها. لكن ذلك كله يتم ليخدم توجهات تتطلع إلى الهيمنة الأيديولوجية والقضاء على كل ثقافة مخالفة لثقافة الغرب أو تستعصي على الذوبان في الهوية التي يراد لها أن تسود الكون.

فقد أوضح مؤسس الدولة السعودية الملك عبدالعزيز في أكثر من مناسبة التزام الدولة السعودية بعقيدة الإسلام النقية الصافية التي كان عليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده، وأن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية التي ظهرت في الجزيرة العربية وتأسست عليها الدولة السعودية الأولى هي دعوة لتجديد العقيدة الصحيحة في نفوس الناس الذين انتشر فيهم الجهل بالإسلام في الجزيرة العربية، ومن هذه الدعوة



استلهم الملك عبدالعزيز أسس توحيده للمملكة العربية السعودية.

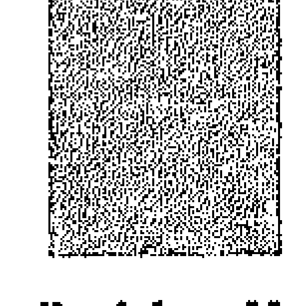
يقول الدكتور عبدالرحمن الزنيدي في ذلك:

(في القرن العشرين الميلادي - الرابع عشر الهجري- بنى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الدولة السعودية الثالثة على ميراث دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، وقد أبرز وعيه بهذه الدعوة في مقولات صريحة لشعبه، وللحجاج الوافدين إلى المملكة:

بأنه في العقيدة على ما قررته نصوص الوحي، وما كان عليه الصحابة.

وأنه في الشريعة يتبنى ما طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما صاغه أئمة الفقه في مدوناتهم بعد ذلك.

وأنه في شؤون الاجتماع البشري سيأخذ فيه بما أنتجه العقل البشري؛ مسلماً، أو كافراً ما دام لا يتناقض مع مقررات الوحي، ومن ثم سيستفيد من معطيات الحضارة المعاصرة في ترقية مجتمعه، وتبنى عملياً هذه المحددات



في مناهج التعليم، ومؤسسات الثقافة، والقضاء، وبناء الدولة الناشئة، واثقاً أنه فيما سلكه يتبنى منهاج الإسلام في تشكيل الحياة كما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه)[1].

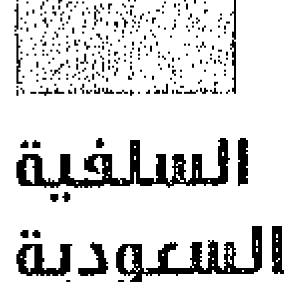
ولذلك نفى الملك عبدالعزيز هذه التسمية المفتراة (الوهابية) وقال - بوضوح وحسم -:

«**يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي يبثها أهل الأغراض**»[2].

وهذه براءة رسمية من الملك عبدالعزيز من وصف «الوهابية»، تؤكدها وتؤصلها الوثائق الرسمية السعودية التي خلت - بالكلية - من كل ألقاب الوهابية. نعم ليس في النظام الأساس للحكم مادة تقول «والوهابية هي المذهب الرسمي للدولة»، بل ينص النظام الأساس للحكم في السعودية على

(١) عبدالرحمن بن زيد الزنيدي. السلفية. ورقة مقدمة لمهرجان الجنادرية للتراث والثقافة الذي يقيمه الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية في الرياض في ربيع الآخر ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٢) زين العابدين الركابي، مقال بعنوان: (نحو منهج أفضل لمناقشة قضايانا: الدعوة الإصلاحية نموذجاً)، جريدة الشرق الأوسط، ٥ مايو ٢٠١٠ م.



أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، وأن الدولة تقوم على الكتاب والسنة. وعلى رغم ذلك فإن الكائدين يصرون على أن السعوديين «وهابيون» بالجبر والغصب والإكراه!![1].

إن وصف دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونهضته بـ «الوهابية»، هو وصف فيه رائحة «التعيير»، وفيه رغبة الإهاجة والتحريض ضد الدعوة والداعي، وفيه ظلم وافتئات، فالقائم بالدعوة وهو الشيخ نفسه (محمد بن عبدالوهاب) لم يُسَمِّ دعوته بهذه التسمية. وكيف يفعل ذلك وهو يعلم أن هذه التسمية من اختراع خصومه المشنّعين عليه؟ وآل الشيخ أنفسهم يستنكرون «لقب» الوهابية.

يقول الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ - مثلاً -: إن لقب الوهابية لم يختره الشيخ ولا أتباع الدعوة لأنفسهم، ولم يقبلوا إطلاقه عليهم، لكنه أُطلق من قِبَل خصومهم تنفيراً للناس من الدعوة، وإيهاماً للسامع بأن الشيخ جاء بمذهب خاص يخالف المذاهب الأربعة الكبرى» وهذا صحيح، فإن خصوم الدعوة اخترعوا وصفها بـ «المذهب الخامس»،

---

(١) المرجع السابق.



على حين أن الحقيقة الموضوعية تقول إن الدعوة تقوم في الجانب العقدي على عقيدة أهل السنة والجماعة، وتقوم في الجانب الفقهي على مذهب الإمام أحمد بن حنبل)[1].

يوضح الشيخ زين العابدين الركابي الأهداف الكامنة وراء الدعايات الكاذبة والهجوم على ما سمي بـ «الوهابية» التي حذر منها الملك عبدالعزيز، ومن هذه الأهداف:[2].

١- الهجوم غير المباشر على النظام السياسي السعودي من حيث إنه في البدء قد قام على مبادئ دعوة الشيخ منذ تعاون مع الإمام محمد بن سعود على التمكين للإسلام ونصرته. وهناك أسباب عدة تحول دون الهجوم المباشر على النظام السياسي السعودي، لذلك اختاروا الهجوم عليه من خلال الهجوم على جذوره وأصوله ومرجعياته تحت ستار فرية «الوهابية».

٢- «تكريه» السعوديين أنفسهم في الدعوة، تمهيداً لإنشاء «رأي عام» سعودي يطالب بفصل الدين عن الدولة في زمن ما.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.



٣- عزل دعوة الشيخ عن محيطها الإسلامي الأوسع ابتغاء محاصرتها ونبذها، والتأثير السلبي - من ثم - على السعوديين، مجتمعاً ودولة.

هذه هي الأهداف الكبرى التي جعلت الوهابية مصدراً للتشويه والنقد المسيئ إليها، وهي حلقة في منظومة أكبر تستهدف تشويه صورة الإسلام.

الوهابية هي عقيدة التطرف والإرهاب

يخيل إلى كثير من الغربيين أن المجتمع السعودي المسلم هو مجتمع وهابي متزمت، قد أطبق التطرف على كثير من مفاصل الحياة فيه، وأن النسخة السلفية من الإسلام المتشدد جعلت من المجتمع السعودي مجتمعاً يتطلع إلى الإرهاب والقتل لكل من يخالفه في معتقده.

هذه الصورة المغلوطة التي رسختها كثير من الكتابات الغربية في مخيلة العقل الجمعي في الغرب لا يمكن أن تحدث حتى في أفلام هوليود فضلاً عن الواقع.

وفي خضم هذه الصورة الذهنية الخطأ لم نجد من الكتاب الغربيين من يتوقف ليتعرف على الحقيقة المغيبة

في هذا التراكم الثقافي والإعلامي الضخم الذي روجت له أقلام الغربيين وآلتهم الإعلامية.

والحقيقة التي نريد تقريرها هنا هي أن السلفية السعودية تُعد النسخة المعتدلة من الإسلام المتسامح، الذي ينبذ الإرهاب والقتل والفساد في الأرض، وهي حقيقة يعرفها العالم الإسلامي عن السعوديين، ويجب أن يدركها الغربيون كذلك.

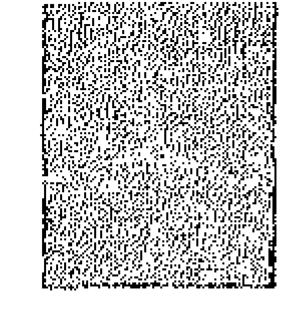
إن الأرض التي شعّ منها نور الإسلام، ونزل فيها الوحي من السماء، وانطلقت منها رسالة الرحمة إلى العالم تأبى أن تكون للإرهاب وطناً، وللكراهية مأوىً، وللعنف منطلقاً.

فالسعوديون يتلقون دينهم من تعاليم القرآن الكريم الذي حرم قتل النفس بغير حق، واعتبر أن من قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً، ويتلقون تعاليمهم من السنة النبوية الصحيحة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى، وهي تعاليم أكدت على حق الحيوان فضلاً عن الإنسان، فقد ورد في الحديث أن امرأة دخلت النار في هرة، لاهي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فإذا كان

هذا جزاء من عذب هرة حتى الموت، فما جزاء من يقتل إنساناً بريئاً بلا خطيئة، وهو الذي قال عنه دستور الإسلام (القرآن الكريم) «ولقد كرمنا بني آدم..»، فهل يمكن لدين هذه تعاليمه أن يقر جرائم إرهابية تكون ضحاياها أنفساً بريئة ؟!

هذا هو الإسلام بسماحته ورحمته، وتلك هي عقيدة السلفية التي يدين بها السعوديون، ولا يمكن أن تُنتِج عقيدة هذا حالها إنساناً يرضى بالقتل أو يتخذ من الفساد في الأرض سلوكاً له في حياته وفي تعامله مع الآخر المغاير له في الدين أو الثقافة.

إن المجتمع السلفي (الوهابي) في السعودية هو أول من اكتوى بنار الأعمال الإرهابية، قبل أن يعرف العالم إرهاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وبعدها. عرفه إبان الهجوم على الحرم المكي من جماعة متطرفة عام ١٩٧٩ م، وفي تفجير حي العليا في الرياض عام ١٩٩٠ م، وفي تفجير الخبر عام ١٩٩٦ م وفي تفجير ثلاثة مجمعات سكنية في الرياض عام ٢٠٠٣ م، وفي تفجير مبنى الأمن العام في الرياض عام ٢٠٠٤ م، وأحداث إرهابية أخرى بعد



هذا التاريخ تورط فيها قليل من السعوديين وكثير من العرب (غير الوهابيين).

فهل يمكن أن يقبل مجتمع بالإرهاب وهو الذي ذاق نتائجه الخطيرة على الأنفس والأموال والممتلكات؟

المجتمع السعودي توجهه قيادة تحارب الإرهاب، وترفض منطلقاته الأيديولوجية ووسائله التدميرية.

فالمملكة أخذت على عاتقها محاربة الإرهاب، ليس في السعودية فقط، بل في العالم كله. ففي الوقت الذي جندت كل طاقاتها الأمنية لملاحقة الإرهابيين والقضاء على خلاياهم وامتداداتها خارج السعودية، كانت القيادة السياسية في الوقت نفسه تعقد المؤتمرات الإقليمية والدولية التي تدعو إلى محاصرة الإرهاب و القضاء عليه، ومن ذلك المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الذي استضافته الرياض ونظمته وزارة الخارجية السعودية في فبراير من عام ٢٠٠٥م، بمشاركة ما يقرب من ٦٠ دولة. ومن توصيات ذلك المؤتمر الدولي أنه أكد على:

(أن الإرهاب يمثل تهديداً مستمراً للإسلام والأمن والاستقرار، فهو مدان مهما كانت الظروف أو الدوافع



المزعومة للإرهابيين).

كما أكد على أن:

(الإرهـاب ليس لـه ديـن معين أو جنس أو جنسية أو منطقة جغرافية محددة، وفي هذا السياق ينبغي التأكيد على أن أية محاولة لربط الإرهـاب بأي دين يساعد في حقيقة الأمر الإرهابيين..).

وفي هذا المؤتمر اقترحت المملكة العربية السعودية إنشاء مركز دولي لمكافحة الإرهاب، وهو ما تم بالفعل، إذ وقّعت المملكة العربية السعودية على اتفاقية تأسيس مركز الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب في مقر الأمم المتحدة في نيويورك يوم ١٩ سبتمبر ٢٠١١ م، وقعها من الجانب السعودي وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل، و من الأمم المتحدة أمينها العام بان كي مون، ودعمت السعودية ميزانية المركز بعشرة ملايين دولار. ومن المهم هنا أن نتذكر ما قاله وزير الخارجية السعودية بعد توقيع الاتفاقية:

«الإرهاب لا دين له، ولا يمثل الدين أو المجتمع الذي ينتمي إليه الإرهابيون... هناك أكثر من بليون ونصف بليون مسلم في أنحاء العالم يمثلون ثقافة وحضارة

عريقة تدعو للسلام والتعاون والتسامح... إن المملكة العربية السعودية كغيرها من الدول عانت من الأعمال الإرهابية وتعاملت معها بصورة جادة وحازمة وقف فيها الشعب السعودي خلف قيادته في مكافحة هذه الآفة».

أما موقف العلماء في المملكة في بيان حكم الإسلام في الإرهاب ومن يرتكب الجرائم الإرهابية فقد أدان الإرهاب وممارسته قبل أن يعرف العالم إرهاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما بعده. فقد أصدرت هيئة كبار العلماء في السعودية بياناً بعد أحداث التفجير الإرهابي في حي العليا بمدينة الرياض عام ١٩٩٦ م جاء فيه:

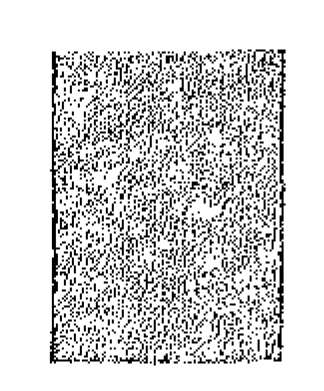
(...إن هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية علمت ما حدث من التفجير الذي وقع في حي العليا بمدينة الرياض قرب الشارع العام ضحوة يوم الإثنين ١٤١٦/٦/٢٠هـ، وأنه قد ذهب ضحيته نفوس معصومة، وجرح بسببه آخرون، وروع آمنون، وأخيف عابرو السبيل ؛ ولذا فإن الهيئة تقرر أن هذا الاعتداء آثم، وإجرام شنيع، وهو خيانة وغدر، وهتك لحرمات الدين في الأنفس، والأموال، والأمن والاستقرار، ولا يفعله إلا صاحبُ

نفس فاجرة، مشبعة بالحقد والخيانة والحسد والبغي والعدوان، وكراهية الحياة والخير، ولا يختلف المسلمون في تحريمه ولا في بشاعة جرمه وعظيم إثمه...).

وقد تتابعت إدانات هيئة كبار العلماء في السعودية للأحداث الإرهابية التي وقعت بعد ذلك التاريخ، ومنها أحداث الحادي عشر من سبتمبر. هؤلاء هم علماء السلفية في المملكة الذين أدانوا الإرهاب وممارساته كما يمليه عليهم الإسلام النقي في السعودية. فهل يمكن لمجتمع متدين يقوده مثل هؤلاء العلماء أن يرضى بالإرهاب، فضلاً عن أن يتورط في أعمال إرهابية ؟ لن يقول نعم، أو يشكك في سلامة المعتقد الذي عليه السعوديون إلا جاحد للحقيقة أو صاحب هوى أعماه الباطل من أن يرى الحق ويعرف الحقيقة.

قد يطالب أحد الكتاب الغربيين – أو غيرهم – بالمكاشفة ويطرح السؤال التالي الذي سمعناه منهم مراراً وتكراراً:

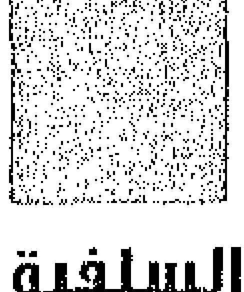
لكن سلفيتكم ووهابيتكم أيها السعوديون أنتجت أفراداً محسوبين على الإرهابيين وينتمون إلى مجتمعكم وبلادكم؟



والجواب على ذلك هو جواب العقل والمنطق الذي يسوق البراهين الأربعة التالية:

أولاً: التاريخ الحاضر للمجتمع السعودي الذي تجاوز مئة سنة منذ وحده الملك عبد العزيز على موروث الدعوة الوهابية حيث قامت علاقات دولة هذا المجتمع بالدول الأخرى إقليمية وعالمية، وانفتح المجتمع على العالم المحيط به، وعاشرت شرائحه صنوف الناس في داخل المجتمع السعودي وفي خارجه، وقد شهد تاريخه في هذه المدة التي تجاوزت القرن أن هذا المجتمع الذي يقوم تعليمه وقضاؤه على (الوهابية) لم يحتل أراضي غيره، ولم يغتصب حقوقاً ليست له، ولم يدعم العصابات المرتزقة في بلد مستقر لإشاعة الفوضى فيه، ولم يتدخل في سيادة دولة أخرى، وتقارير الأمم المتحدة وشهادات العقلاء من مختلف الأمم تؤكد من خلال خبرتها على أن السعودية دولة احترام للعهود والمواثيق، وحفظ للسلام، وسعي للإصلاح، ومشاركة إيجابية في المنظمات التي تستهدف تحقيق العدالة، ورعاية الحقوق وخير البشرية.

أما الشعب السعودي فقد عاش الآلاف من الأوربيين



والأمريكيين وغيرهم في مختلف مناطق مجتمعه عشرات السنين فلم يجدوا منهم عنفاً ولا إرهاباً - حتى من أكثرهم تديناً -، وشهادات المستشرقين الذين زاروا الجزيرة العربية قديماً وحاضراً ومذكرات الذين عملوا سنين وسط الشعب ترسم صور الإعجاب بهؤلاء وتعاملهم مع الآخر.

ومثله صورة السعودي خارج المملكة،لم تشتهر خلال العقود الماضية بالعنف والإرهاب لا من طلابها المبتعثين، ولا من عموم أفرادها السائحين، فهل من العدل اختزال كل ذلك والتركيز على أعداد محصورة يمثلون نشازاً في اللحن المتناغم لهذا المجتمع المبتلى بهؤلاء ؟ [1].

ثانياً: أنه بإزاء ذلك العدد المحدود من ممارسي الإرهاب، الجم الغفير من العلماء الشرعيين والمثقفين الإسلاميين الذين أدانوا من المنطلق (الوهابي) المرتكز على منهج الإسلام أعمال العنف الظالم، والتخريب، وسائر صور الإرهاب التي قارفها أولئك بحق الأشخاص والممتلكات المعصومة وهيئة كبار العلماء التي تمثل أعلى

---

(١) عبد الرحمن الزنيدي. «الوهابية وتصدير الإرهاب». ضمن بحوث صدرت في كتاب: (السعوديون والإرهاب: رؤى العالمية)، مرجع سابق، ص ٤٤٠-٤٤٦.

هيئة علمية شرعية على المستوى الرسمي أصدرت عدة بيانات تدين الإرهـاب من منطلق إسلامي بشكل صريح، جاء في إحدى هذه البيانات لمجلس هيئة كبار العلماء عمّا يمارسه من يقومون بالتفجير وقتل الآمنين بأنه (محرم في الإسلام وأنـه غدر وخيانة وبغي وعـدوان وإجـرام آثم وترويع للمسلمين وغيرهم وكل هذه قبائح منكرة يأباها ويبغضها الله ورسوله والمؤمنون)، ثم يبين المجلس (أن الإسلام بريء من هذا العمل وهكذا كل مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه فلا يحتسب عمله على الإسلام والمسلمين المهتدين بالكتاب والسنة، وإنما هو محض إفساد وإجـرام تأباه الشريعة والفطرة، وقد جاءت النصوص الشرعية قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله)[1].

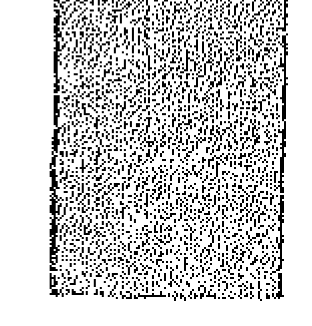
وكذلك المثقفون - وفيهم الإسلاميون - أصدروا بيانات عديدة في هذا المقام.

(١) عبد الرحمن الزنيدي، مرجع سابق، ص ٤٤٦ - ٤٤٧.

فمن الممثل الحقيقي للوهابية ؟

أهو المجتمع السعودي وعلماؤه، ومثقفوه ومواطنوه ؟ أم أولئك الشباب الذين اعترف كثير منهم أنهم استمدوا أفكارهم الإرهابية من تنظيمات حركية أنتجتها حالات الاختناق التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم تحت وطأة الظلم والإهانات المتتابعة للمسلمين من بعض القوى الدولية وعلى رأسها أمريكا، وإغراق المجتمعات المسلمة بالتغريب؟

ثالثاً: هل من المنطق والعقل أنه إذا خرج أحد من مجتمع معين وقام بأعمال إرهابية أن يعمم سلوكه على سائر أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه ؟ هذا محال لا يقبله صاحب العقل السليم والتفكير السوي. إذ لو كان الحال كذلك لوُصف المجتمع الأمريكي بأنه إرهابي، لأن تومثي ماكفاي (الأمريكي الأصل والجنسية) هو الذي فجر المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما سيتي عام ١٩٩٦ م، وكذلك يمكن - بهذا المنطق الأعوج - أن يوصف المجتمع النرويجي بأنه مجتمع إرهابي، لأن الذي قام بأحداث التفجير الإرهابية في أوسلو في يوليو ٢٠١١ هو أندريس بريفيك (النرويجي

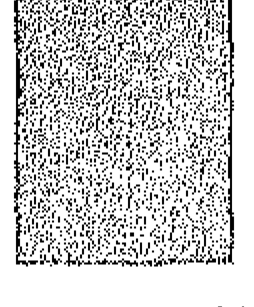


الأصل والجنسية)، خاصة أن الدافع وراء ما قام به كان دينياً عنصرياً أيديولوجياً.

فكيف يوصف المجتمع السعودي بأنه مجتمع تسوده عقيدة سلفية وهابية تنتج الإرهاب وتروج له ؟!

إنه منطق أعوج لا يقول به إلا ظالم يخفي في نفسه مالا يظهره للناس. ولو سلَّم العقلاء بهذا المنطلق فسيكون العالم كله عالماً إرهابياً، لا وجود للأمن والسلام إلا في الكواكب الأخرى التي لا يعيش فيها إنسان.

رابعاً: أن نفي علاقة المملكة العربية السعودية بالإرهاب قد أقرته أعلى جهة تحقيق في أحداث ١١ سبتمبر المشؤومة، وهي لجنة أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي كونها الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الإبن والكونجرس للتحقيق في كل ما له صلة بهذه الهجمات، وتقرير اللجنة موجود على شبكة الانترنت لكل من أراد الإطلاع عليه. وقد برأت اللجنة المملكة من أي تورط في أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ومع أن اللجنة وجدت أن المملكة لم تقدم أي مساعدة أو دعم للإرهابيين، إلا أن عناوين الصحف ظلت تتحدث عن علاقة السعودية بالإرهاب على أنها حقائق



مطلقة، لكن الأسوأ من الحقد الذي فاضت به أفواه وأقلام المعلقين كان هو الجهل الكثير والخوف الذي سكن عقول هؤلاء، الأمر الذي يجعل - وفي أحيان كثيرة - من الصعوبة للصحافيين الوقوف ضد ما بات حقيقة مسلماً بها[1].

وأخيراً فإن الحقيقة التي يجب أن تقال، وتفهمها الأجيال، وأن لا نتردد في تصديقها أو التعمية عليها هي: **أن الإرهاب في العالم سببه جهات سياسية وفكرية في الغرب رأت في ممارسته تحقيقاً لأطماعها ومصالحها.**

نعم تلك الجهات المستفيدة هي سبب الإرهاب، فإذا كان تنظيم القاعدة هو سبب الأعمال الإرهابية التي شهدها العالم في السنوات الماضية، فهي التي دعمته، ومولته بالمال والعتاد والأجهزة لمواجهة الغزو السوفيتي لأفغانستان (١٩٧٩ وما بعدها)، ثم لما انتهت مهمتها من الشباب العرب الذين كانوا أدوات لها لمواجهة الاتحاد السوفيتي حتى لا يَصل إلى المياه الدافئة في الخليج تخلت تلك الجهات عنهم وتركتهم بعد أن تدربوا على القتال.

---

(١) خالد المعينا: «الحكومة السعودية وتنظيم القاعدة». ضمن بحوث نشرت في كتاب: (السعوديون والإرهاب: رؤى عالمية). مرجع سابق، ص ٤٠٦.

ثم زاد طغيان الساسة المحافظين في الولايات المتحدة وظلمهم للعالم الإسلامي في فلسطين وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، فما كان من هذا التنظيم الذي فقد الداعم والمشرف (الأمريكي) إلا أن يعلن الحرب على أمريكا والمتواطئين معها في كل مكان.

قد لا تتقبل الأجيال القادمة هذه الحقيقة الصادمة والمفزعة، لكن يجب أن تسجل وتوثق، لأن كثيراً ممن شهدها اليوم لا يريد أن يقتنع بها، ولا يزال يردد مع الكتاب الغربيين أن المسلمين عموماً، والسعودية على وجه الخصوص، هم سبب الإرهاب وصانعوه وذلك لقلب الحقائق وتزوير الأحداث والوثائق.

وهابية (البترودولار)

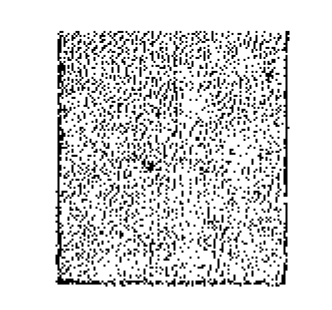
يحظى القطاع الثالث (العمل الخيري) في الغرب بتقدير من الحكومات والشعوب على حد سواء، وتتدفق مليارات الدولارات سنوياً لدعم المؤسسات الخيرية الناشطة في مجالات الدين والثقافة والإغاثة الإنسانية وغيرها. بل إن كثيراً من رجال الأعمال الكبار في الغرب يخصصون

جزءاً كبيراً من أموالهم لتكون أوقافاً على العمل الخيري في حياتهم وبعد مماتهم. وكثير من الأرقام والإحصاءات تُظهر اهتمام الغرب ببرامج القطاع الثالث الخيري. ففي عام ٢٠٠١ م – وهو العام الذي شنت فيه حكومات الغرب حرباً ضروساً على المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي عامة والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص – تلقت المنظمات الدينية غير الربحية في الولايات المتحدة ما يزيد على ٨٠ مليار دولار من التبرعات، ودعمت حكومة الولايات المتحدة منظمات العمل الخيري في بلادها بما يزيد عن ٢١٢ مليار دولار، علماً أن عدد المنظمات غير الربحية (الخيرية) في الولايات المتحدة بلغ في عام ٢٠٠١ ما يقارب ١،٤٢٩،٢١٩ منظمة[١].

وقبل هذا التاريخ وبعده، وفي الولايات المتحدة وغيرها، كانت أموال الحكومات والشعوب والأثرياء تقدم الدعم للبعثات التنصيرية في العالم، وتقدم المنح الأكاديمية لأبناء المسلمين وغيرهم، ويجوب المنصرون والقساوسة

---

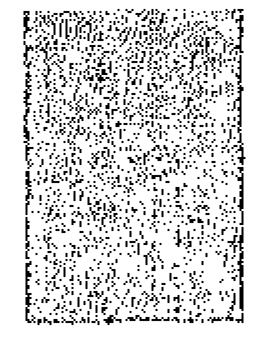
(١) محمد عبدالله السلومي. القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب. مرجع سابق، ص٣٤٢-٣٤٤.



بلاد الدنيا بدعم من حكوماتهم وشعوبهم ليقدموا الغذاء والدواء للمحتاجين والفقراء وبيدهم الأخرى الإنجيل الذي يدعوهم إلى النصرانية ويرغبهم فيها. ويرون أن هذا حق لهم لايمكن لأحد أن ينازعهم فيه أو يعترض عليه. ولم يسجل التاريخ أن المملكة العربية السعودية أو غيرها من الدول الإسلامية شنت حرباً دينية أو سياسية أو إعلامية على مؤسسات القطاع الثالث في الغرب احتجاجاً على نشر النصرانية أو الثقافة الغربية في البلاد التي تصل إليها برامج هذه المؤسسات.

كل إنسان في أي مكان يرى المؤسسات الغربية تقدم التبرعات من الحكومات والشعوب الغربية في كل بقعة من الأرض، وتمنح المساعدات، وتبني الكنائس، والمدارس، ودور العجزة والأيتام، بل ترسل دولها الجيوش لفرض ما ترى أنه استتباب للديمقراطية وحقوق الإنسان، ويعدون ذلك كله عملاً شرعياً، وممارسة أخلاقية تحتفي بها المنظمات الدولية ووسائل الإعلام، ومراكز اتخاذ القرار.

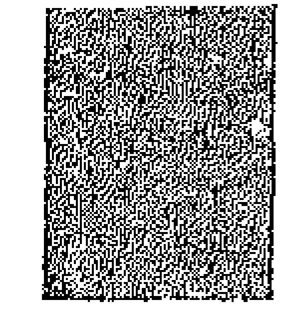
أما حين يتعلق الأمر بالمسلمين فالقضية تختلف وتأخذ مساراً آخراً لا يقره عرف ولا دين ولا أخلاق ولا إنسانية.



فالكتابات الغربية التي تتهم المملكة العربية السعودية بتمويل المناشط السلفية في العالم دعماً منها لما يسميه الغرب (الوهابية السعودية) تفتقر لأدنى درجات الحيادية، ومعايير النقد البناء الموضوعي. عندما تقوم المؤسسات السعودية بممارسة دورها الإسلامي المتمثل في بناء المساجد، والمراكز والمدارس الإسلامية، وتقديم المساعدات للدول الإسلامية الفقيرة وللأقليات المسلمة في مختلف أنحاء العالم، فإن هذا يُعدّ نشراً للإرهاب، والتطرف، وبثاً لروح الكراهية ضد الغرب، ومحاولة لتأليب الشعوب الإسلامية ضد كل ما هو غير إسلامي!!

لقد ظهر جلياً استهداف المملكة ومحاولة تشويه صورتها من خلال الحديث المستمر عما تسميه الكتابات الغربية (الأنشطة المشبوهة للمؤسسات السعودية السلفية). وعندما تذكر الكتابات الغربية هذه القضية فإنها تعني المؤسسات الخيرية والتعليمية في العالم التي تجد الدعم من الحكومة السعودية، ومن علمائها ورجال أعمالها، بل ومن الكثير من فئات الشعب السعودي.

إن التقارير التي تقدح في الدور السعودي تتجاهل



حقيقة أن المملكة العربية السعودية ظلت تقوم بدور مهم في العمل الإغاثي والإنساني في مختلف أنحاء العالم، لاسيما في المناطق الفقيرة في أفريقيا وآسيا، وغيرها من قارات العالم، واستفادت أكثر من ٧٠ دولة من المساعدات السعودية في مجالات إنسانية وتعليمية وتدريبية قدمتها هيئات ومؤسسات إسلامية ترعاها المملكة. وبجانب المساعدات الإنسانية، والدعم القوي لإنشاء المساجد، وحفر الآبار، وإقامة المراكز الإسلامية، أسقطت المملكة ديونها المستحقة لدى ١١ دولة إسلامية بمبلغ يفوق ٦مليارات دولار أمريكي دعماً لاقتصاديات تلك الدول. وقد أثنت منظمة الأمم المتحدة على هذا الدور الإنساني الذي تقوم به المملكة.

هذه الجوانب الإيجابية للمساعدات والمبادرات والجهود السعودية تلقى التجاهل المتعمد من الكتابات الغربية، وتركز على محاولة ربط أية أعمال عدوانية تقوم بها جماعات أو أفراد منحرفة عن المنهج الإسلامي الصحيح بالإسلام والسلفية في السعودية، وكأن لسان حالها يقول: (هؤلاء هم السلفيون، المتشددون، الوهابيون، الذين تدعمهم السعودية

ومؤسساتها).

ومن المدهش ربط السعودية بتمويل التشدد والتطرف الذي يقود إلى الإرهاب، وهي الدولة التي عانت من هذا الداء، وتعرضت للعديد من الهجمات الإرهابية التي استهدفت المنشآت المدنية والعسكرية. وقد أكدت الحكومة السعودية في أكثر من مناسبة على أن الإسلام ضد العنف، والاعتداء على الآمنين والسعي في إفساد الأرض، وأن الإرهاب لا يرتبط بدين أو وطن معين. كما أكدت ضرورة العمل على وضع تعريف واضح ومحدد للإرهاب، ومن ثم تكاتف الجهود الدولية لمحاربته. ودعت إلى عقد المؤتمرات التي تناقش هذه الظاهرة، وتدرس أسبابها، وتقترح الحلول العملية للقضاء عليها. وبادرت لاستضافة مؤتمر دولي لمكافحة الإرهاب عُقد في العاصمة الرياض عام ٢٠٠٥م، كما عقدت العديد من المؤسسات السعودية مؤتمرات مماثلة.

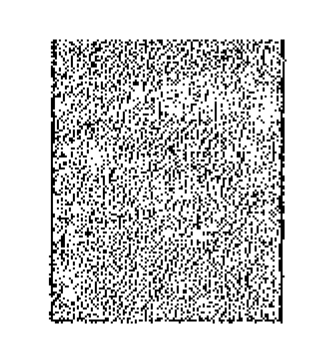
وظلت المملكة تتعامل مع الإرهاب على أنه ظاهرة سلبية معقدة ينبغي التصدي لها ومحاربتها على الأصعدة كافة، الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية.

وطالبت المملكة بحل القضايا الدولية المعلقة كأفضل السبل لتجفيف منابع الإرهـاب وأسبابه، وطالبت بإبرام المعاهدات والاتفاقيات الدولية لمحاربته، وتطبيق العقوبات الرادعة على من يثبت تورطهم في أعمال إرهابية، وضرورة قيام نظام دولي واقتصادي عالمي جديد، ومحاربة الفقر وتشجيع التنمية وغيرها.

وفي الوقت الذي تتناول فيه بعض الكتابات الغربية جهود المملكة بالكثير من القدح والسخرية والاتهامات، وترى أن الدعم الذي تقدمه المملكة للدول والمؤسسات واحتضانها للعمل الخيري والإنساني، إنما هو دعم للسلفية والإرهاب والتطرف، تقف الحقائق على أرض الواقع على النقيض من ذلك تماماً. فقد قال عدنان خليل باشا، الأمين العام لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، إن منظمة الأمم المتحدة أصدرت تقريرًا أكدت فيه أهمية الدور الذي تضطلع به المملكة في أقطار العالم كافة. وأوضح، وهو يتحدث خلال جلسات المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية الذي نظمته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المدة من ١٣ إلى ١٥ محرم

١٤٣٢هـ أن المنظمة الدولية أوضحت في تقريرها المشار إليه أن المملكة العربية السعودية قدمت ما مقداره (١,٩) في المائة من إجمالي دخلها القومي في العام ٢٠١١ كمساعدات إنسانية وإغاثية للدول والشعوب الإسلامية في أنحاء العالم كافة، متقدمة بذلك على كل دول العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد ظلت المملكة الدولة الأكبر في العالم في تقديم المساعدات الإنسانية غير المشروطة في العقود الثلاثة الماضية وتصدّرها لقائمة الدول المانحة للمساعدات الطوعية غير المشروطة لتمويل عمليات الإغاثة الإنسانية عام ٢٠٠٨ م وما بعده، بتبرعها بأكثر من ثلاثة مليارات ريال سعودي لصندوق مكافحة الفقر في العالم الإسلامي، إضافة إلى مساهماتها المالية في موازنات ١٨ مؤسسة تمويل دولية. كما أسهمت المملكة في تقديم المنح والهبات غير المستردّة والقروض الميسرة إلى الكثير من الدول الإسلامية و غيرها خلال العقود الثلاثة الماضية بما يزيد على ٣٧٥ مليار ريال سعودي (١٠٠ مليار دولار)، استفادت منها نحو ٩٥ دولة نامية، بما يعادل ٤ ٪ من الناتج القومي



الإجمالي للمملكة. كما أن المملكة أسقطت ديونها المستحقة على الدول الفقيرة والتي بلغت أكثر من ٢٢,٥ مليار ريال سعودي (٦ مليار دولار)[١].

هذه الإحصاءات لا تذكرها الكتابات الغربية بشئ من الإيجابية والتقدير، بل تركز على بناء المملكة ومؤسساتها الخيرية للمساجد ودعم المؤسسات التعليمية التي تزعم أنها تروج للتشدد والتطرف، وتخلق من هذا الدعم قضية ليس لها هدف إلا الإساءة للأموال السعودية وربطها بأسباب ظاهرة الإرهاب. وهذه قضية تحتاج من المنصفين والعقلاء في الغرب إلى إعادة النظر فيها وبيان حقيقتها حتى لا تندثر في ركام الأباطيل التي امتلأت بها الكتابات الغربية عن العمل الخيري في السعودية.

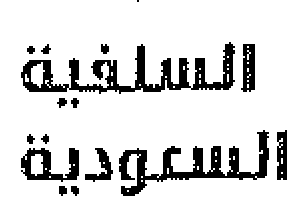
(1) http://www.iu.edu.sa/web/news.aspx?id=946.



الخاتمة



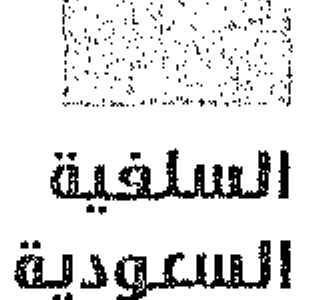
ناقش هذا الإصدار موضوع السلفية السعودية في الكتابات الغربية، واستعرض جملة من الأوصاف التي تكرر ذكرها في التراث الغربي الذي يتحدث عن الوهابية السعودية، وبخاصة في العشر سنوات الأخيرة. ولعل القارئ قد خرج بنتيجة أفرزها التراكم المعرفي الذي حاول أن يقدم السلفية والوهابية إلى الرأي العام الغربي على غير حقيقتها، وربما قد لاحظ - أيضاً - الاتفاق في الكتابات الغربية على إلصاق عدد من التهم الجاهزة والمعلبة التي تخدم أهدافاً دينية وسياسية وثقافية يسعى الغرب إلى تحقيقها عبر استراتيجيات أعدتها مراكز بحثية ومؤسسات سياسية لإحداث تغيير جوهري في العالم الإسلامي، بدءًا بهويته الدينية وانتهاءً بحياته الاجتماعية لتكون منسجمة مع النموذج الغربي الذي يُراد له أن يهيمن على سائر المجتمعات والثقافات.



هذه حقيقة يعرفها بعض من كتب عن موضوع السلفية والوهابية، ونجزم أن كثيراً من المؤثرين في الرأي العام الغربي تغيب عنهم كثير من الحقائق عن المجتمعات التي تقاسمهم العيش على هذا الكوكب، وسبب ذلك أنهم يتلقون معلوماتهم ومعارفهم عن تلك المجتمعات من المصادر الغربية التي دأبت على تشويه الحقائق عن الآخرين.

لذلك كله كان لزاماً علينا أن نتيح لهم مصادر أخرى تساعدهم على تصحيح تلك المعارف والمعلومات المشوهة، وهو واجب المفكرين والمثقفين والمؤسسات البحثية التي تشترك مع نظيرتها - أو هكذا يُفترض أن يكون - في تهيئة مناخ علمي وثقافي يسهم في إيجاد بيئة يسودها الحق والصفاء والالتقاء على المشترك الإنساني ليعيش الإنسان في أمن واستقرار وتسامح، بعيداً عن أسباب الكراهية ومصادرة حقوق الآخرين أو فرض الهيمنة عليهم.

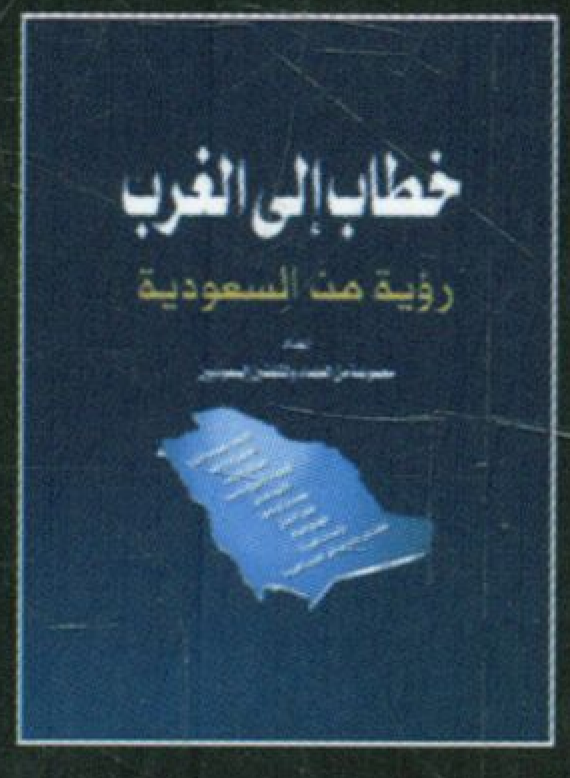
ولا نشك أن كل من أراد أن يتعرف على حقيقة السلفية والوهابية سيجدها في مصادرها الحقيقية الأصيلة إن كان يروم الحقيقة والموضوعية، وأما مَنْ أصرّ على أن يُبقي الصورة المشوهة عنها في مخيلته لأسباب أيديولوجية

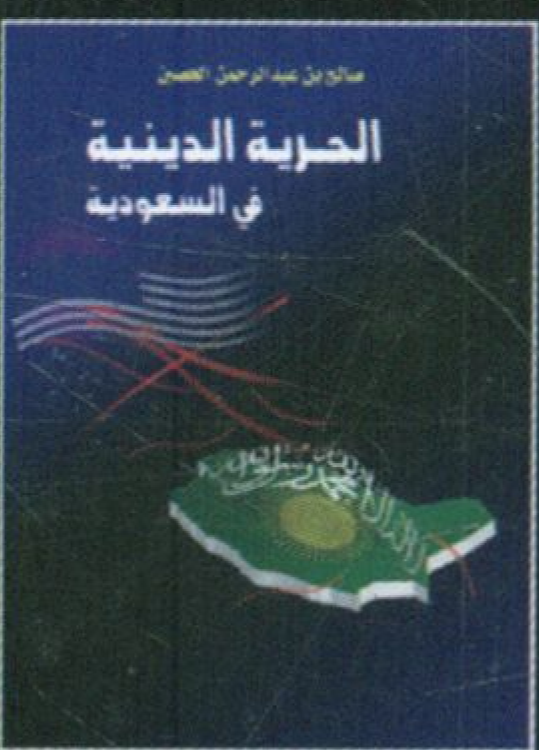


أو مصالح إستراتيجية فإنه سيكون جاحداً لها في ظاهره، مقتنعاً بصورتها النقية في باطنه ما دام أنه أسير لهواه، لكن ذلك لن يغير من حقيقة الأمر شيئاً وسيظل الحق باقياً ما بقي له أناس يدافعون عنه وينشرونه.

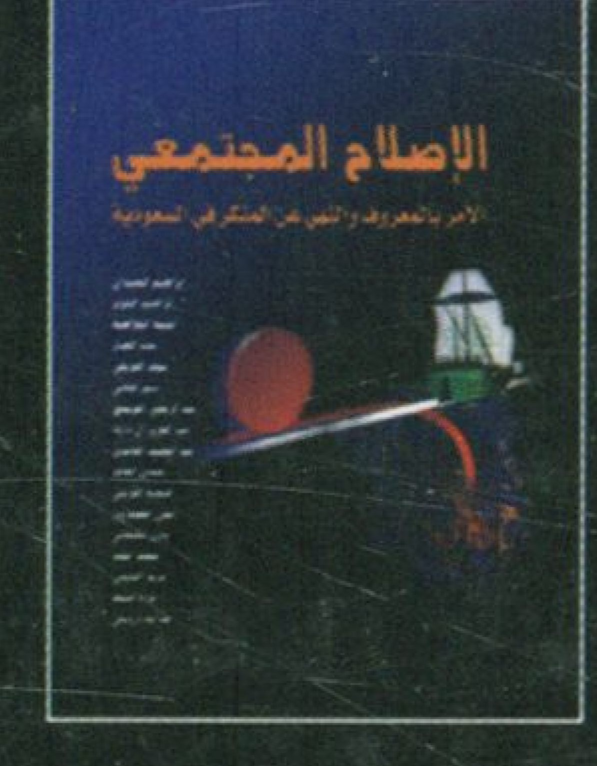
من إصدارات

مركز الفكر العالمي عن السعودية











ردمك : ٦ - ٩١٠٩ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨